فنُّ التّرجمةِ الشَّخصيِّةِ للداعيةِ وأَهَمِّيَتُه للدَّعوةِ والدُّعاةِ

إعداد الدكتور

رضا محمود محمد السعيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالمنصورة

مقدمة

الحمد الله، والصلاة والسلام على الخاتم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن فنَّ الترجمة الشخصية يُعدُّ من أهم فنون علم التاريخ، حيث قد جرت عادةُ كثيرٍ من المؤرخين في مؤلفاتهم على الترجمة لأنفسهم، ورصد عموم مشاهداتهم، وما تحويه من آياتٍ وأحداثٍ وعِبَرٍ، فضلاً عن ذكر طبيعةِ زمانهم وسمات مكانهم، والأحداث التي أثرت فيهم أو عليهم بشكل عام، حتى غدا هذا الفن مستقراً عندهم، له أصوله، وضوابطه، وأهدافه، ومنهجيته.

وقد حرص كثيرٌ من العلماء القدامى والمحدَثين على الإسهام في هذا الفنِّ وإثرائه، وذلك بإفراد الحديث عن تراجمهم الشخصية في مؤلفات علمية خاصة، بهدف التوريث العلمي والإفادة من تجاربهم وخبراتهم العلمية والمجتمعية.

والدعوة الإسلامية في العصر الحديث في مسيس الحاجة إلى هذا الفنِّ وتوظيفه في خدمة تخصص الدعوة وعلومها، وذلك عن طريق البحوث والدراسات العلمية التي تحقق ذلك.

وفنُّ الترجمة الشخصية يساعد الداعية في إطلاعنا – بأسلوبه العذب – على تاريخه الدعوي والعلمي بشكل عام، وإخبارنا عن طبيعة المرحلة الدعوية التي كانت في زمانه ومكانه، وتسجيل مواقفه من الأحداث التي عايشها ومرَّ بها، والحديث عن منهجه في الدعوة إلى الله تعالى، والوسائل والأساليب التي اعتمد عليها في تبليغ الدعوة، وأن يُضَمِّنَ لنا ذلك في مؤلفٍ علمي مستقل، قائمٍ على منهجية معينة، وضوابط محددة، وأهداف واضحة، وهذا ما سنعرفه في ثنايا البحث والدراسة بمشيئة الله تعالى.

وقد قمت باختيار هذا البحث لأسباب متعددة، منها:

- نُدرة البحوث والدراسات العلمية – فيما أعلم – التي تتحدث عن هذا الفنِّ ومحاولة توظيفه في خدمة الدعوة الإسلامية وعلومها.

- مُحاولة الإسهام – ولو بالقدر اليسير – في إثراء علم تاريخ الدعوة الإسلامية، وذلك من خلال فن الترجمة الشخصية، الذي يُعنى بالحديث عن رجالات الدعوة والتأريخ لمسيرتهم الدعوية.
- إظهار فوائد هذا الفنِّ وآثاره المتعددة في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
- لفت أنظار الدعاة إلى فنِّ الترجمة الشخصية وأهميته بالنسبة لهم وللدعوة، وتوجيه عنايتهم إلى الكتابة فيه ومحاولة الاستفادة منه.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

التمهيد: ويحوي التعريف بمفردات عنوان البحث من حيث اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: حاجة الدعوة إلى فنِّ الترجمة الشخصية.

المبحث الثاني: نُبْذَةٌ حول فنِّ الترجمة الشخصية.

المبحث الثالث: نماذجُ من الدعاة الذين ترجموا لأنفسهم.

المبحث الرابع: ضوابط فنِّ الترجمة الشخصية للداعية.

المبحث الخامس: فوائد وآثار فنِّ الترجمة الشخصية للداعية.

الخاتمة: وتحوي أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل صالحاً، وأن يتقبله لوجهه خالصاً، وأن ينفعني به والمسلمين في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د/ رضا محمود محمد السعيد

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين

بجامعة الأزهر بالمنصورة

التمهيد

يَحسن بي قبل الحديث عن موضوع هذه الدراسة ومضمونها أن أُلقى الضوء على المصطلحات العلمية المتعلقة بها؛ حيث إن ذلك يساعد على تحديد موضوع الدراسة ووضوح فكرتها، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الفَنُّ

جاء مصطلحُ الفَنِّ في معاجمِ اللغةِ العربيةِ وأُريدَ به التعنِيَةُ، أو النوعُ، أو الضربُ من الضُّروب في الأشياء كلِّها، قال ابن فارس رحمه الله: "الفاء والنون أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على تعنِيَةٍ، والآخَر على ضربٍ من الضُّروب في الأشياء كلِّها.

فالأوّل: الفَنّ، وهو التعنية والاطراد الشّديد. يقال: فَنَنْتُه فَنّاً، إذا أطردتَه وعنّيْتَه.

والآخر: الأفانين، أجناس الشّيء وطُرقُه"[1].

قال ابن منظور رحمه الله: "الفَنُّ: وَاحِدُ الفُنُون، وَهِيَ الأَنواع، والفَنُّ الحالُ. والفَنُّ: الضَّرْبُ مِنَ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَفنان وفُنونٌ، وَهُوَ الأُفْنُون. يُقَالُ: رَعَيْنا فُنُونَ النَّباتِ، وأَصبَحْنا فُنُونَ الأَموال.

والرجلُ يُفَنِّنُ الْكَلَامَ أَي يَشْتَقُّ فِي فَنٍّ بَعْدَ فنٍّ ... وافْتَنَّ الرَّجُلُ فِي حَدِيثِهِ وَفِي خُطْبته إِذا جَاءَ بالأَفانين"[2].

والفنُّ في الاصطلاح: مهارة يحكمها الذوق والموهبة.

وقيل: التطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها، ويكتسب بالدراسة والمرانة.

---

١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ٤ / ٤٣٥ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ط الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، ١٣ / ٣٢٦ ، دار صادر – بيروت – ط الثالثة – ١٤١٤هـ .

وقيل: جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة[١].

وفي ضوء ما سبق يمكن القول: أن فنَّ الترجمة الشخصية نوع من أنواع علمِ التاريخ بشكلٍ عام، ويختص بجملة القواعد الفنية والعلمية لكتابة الترجمة الشخصية، وقد أكد الباحثون – المختصون بعلم التاريخ وفنونه – على أن الترجمة الشخصية فن، وليست بعلم[٢] وقد يسميه البعض بفن "الأتوبيوجرافيا"، أي ترجمة المؤلف لنفسه[٣] .

ثانياً: الترجمة الشخصية

في اللغة: تأتي كلمة الترجمة في اللغة العربية ويُقصد بها: التفسير والبيان،ونقل الكلام من لغة إلى أخرى، وذِكر السيرة الذاتية للأشخاص. جاء في لسان العرب: "التُّرْجُمانُ والتَّرْجَمان المفسِّر للسان، وفي حديث هِرَقْلَ: "قال لتُرْجُمانه"[٤]، الترجمان بالضم والفتح هو الذي يُتَرْجِم الكلام، أَي ينقله من لغة إلى لغة أُخرى والجمع التَّراجِم"[١].

---

١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٤٨٢ ، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

٢) يراجع : فن السيرة ، إحسان عباس، ص ١١٠ ، دار الثقافة – بيروت – لبنان، ط الثانية ، ١٩٠٠م ، الترجمة الشخصية ، د/ شوقي ضيف ، ص ٥ ، دار المعارف – القاهرة – ط الرابعة، بدون.

٣) عبد الرحمن بن خلدون، د/ علي عبد الواحد وافي، ص ٢٣٨ ، سلسلة أعلام العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة .

٤) والمقصود بالحديث هنا، حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، الذي حدث فيه عن سفيان بن حرب رضي الله عنه عن لقائه مع هرقل ملك الروم، قال الإمام البخاري رحمه الله: "حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، =

وجاء في المعجم الوسيط: "ترجم الكلام بَيَّنه ووضَّحه، وكلام غيره وعنه نقله من لغة إلى أخرى، ولفلان ذكر ترجمته.

الترجمة: ترجمة فلان سيرته وحياته (ج) تراجم"(٢).

في الاصطلاح: أما عن المقصود بالترجمة الشخصية أو الذاتية في الاصطلاح، فقيل بأنها "السيرة التي يكتبها صاحبها من عالمٍ ومفكرٍ بعد تجاوزه سن الأَشدّ، وعند بلوغه سن النضج، في جوٍ ارتسمت فيه عِلميته في مسامع الجماهير وأبصارهم، تدفعه إليها جملة أسباب منها: مُتعة الذكرى حتى لا تغيب في ثنايا النسيان بعد تقادم السن، ومنها: الوقوف على معاني الحياة الماضية ومدى نصيبه منها في مجال العلم والفكر والكفاح، وما شاهده من مواقف، والأحداث التي كان لها ارتباط بحياته، ينشرها أمام الأجيال القادمة ملتزما الواقع"(٣).

وقيل بأن الترجمة الشخصية "هي التي يصوغها صاحبها في صورة مُترابطة، على أساس من الوِحدة والاتساق في البناء والروح، وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافياً كاملاً، عن تاريخه الشخصي، على نحو موجز، حافل بالتجارب والخبرات المنوعة الخصبة، وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، وحُسن التقسيم،

=

فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ... ". الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، ك بدء الوحي، ب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ١ / ٨ ، رقم ٧ ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ١٢ / ٦٦.

٢) المعجم الوسيط ، ١ / ٨٣ ، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية.

٣) العلماء الذين ترجموا لأنفسهم "السيرة الذاتية"، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص ٢٣، وزارة الإعلام السعودية، ط الأولى ١٤٠٥م.

وعُذوبة العبارة، وحَلاوة النص، وبث الحياة والحركة في تصوير الوقائع والشخصيات، وفيما يتناوله من حواره، مستعينا بعناصر ضئيلة من الخيال لربط أجزاء عمله، حتى تبدو ترجمته الذاتية في صورة متماسكة محكمة، على ألا يسترسل مع التخيل والتصور حتى لا ينأى عن الترجمة الذاتية"(١).

وقد عرفها علماء الغرب بقولهم: "حَكْيٌ استعاديٌ نثريٌ يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخه الشخصي، بصفة خاصة"(٢).

وتختلف الترجمة الشخصية عن "الترجمة الغيرية" أو "السيرة الغيرية "، ويراد بها: ما يكتبه بعض الأفراد عن غيرهم من الناس، سواء أكانوا من الأعلام الذين عاشوا في الزمن الماضي أو في زمن الكاتب.

والسيرة الغيرية أقدم زمناً من السيرة الذاتية، لأنها برزت مع التأريخ والأدب، فمنذ وجود الحضارات، جعل الرجال يؤلفون فيها، الذين كانوا يتكسبون في بلاط الحكام والسلاطين، فكانوا يكتبون ما كان يجري في زمنهم من تطور، فكتبوا للملوك والسلاطين، وللحرب والمحاربين(٣).

---

١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د/ يحيى إبراهيم عبد الدايم، ص ١٠، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.

٢) السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي) فيليب لوجون، ص ٢٢ ، ترجمة عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بدون.

٣) فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، د/ عبد المجيد البغدادي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان – العدد الثالث والعشرون، ٢٠١٦م، ص ١٩١ ، ١٩٢ باختصار وتصرف.

ويُعَرِّف البعض السيرة الغيرية بأنها "السيرة الموضوعية، التي تتناول حياة إنسان آخر غير حياة كاتبها، برصد ظروف نشأته وتتبع مراحل تطور حياته وتنقلاته في الزمان والمكان، وغالباً ما يكون لشخص المترجَمِ له وضعٌ اعتباريٌّ متميز ومكانة في المجتمع والتاريخ، أخذاً للعبرة، ورغبةً في الاقتداء بشخصه؛ لأهمية ما أنجزه في محطاته العمرية على مدار سنوات"[1].

وهناك كتابات كثيرة تمثل "السيرة الغيرية" في تخصص الدعوة الإسلامية ، أبرزها كتاب " رجال الفكر والدعوة في الإسلام للشيخ الداعية "أبو الحسن النَدْوي" رحمه الله؛ حيث ترجم فيه لكثير من أعلام ورجالات الفكر والدعوة الإسلامية، وأبرز جهودهم في خدمة الإسلام والمسلمين، وأوضح مناهجهم وأساليبهم في الدعوة والإصلاح، ومنها كتاب "النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين"، د محمد رجب بيومي رحمه الله تعالى.

ثالثاً: الداعية

الداعية أحد أهم أركان الدعوة إلى الله تعالى، وقد قيل في التعريف به: "المبلِّغ للإسلام، والمعلِّم له، والساعي إلى تطبيقه"[2].

وقيل: "المقصود بالداعي عموما: المسلم الذي يقوم بدعوة غيره إلى الإسلام بكل ما اشتمل عليه من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق،

---

١) أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، ناصر بركة، ص ١٧ ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر – بانته – الجزائر، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٢) المدخل إلى علم الدعوة ،محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٥٣ ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

سواء أكان هذا الداعي رجلا أم امرأة، فرداً أم جماعة، أُوتي حظاً وافراً من العلم أم غير ذلك، شخصاً أم مؤسسةً.

لكننا – في هذا المقام – نقصد الداعيةَ المؤهل تأهيلا خاصا ايمانياً، وأخلاقياً، وعلمياً، ومنهجياً؛ ليكون على مستوى عالٍ من المهارة والتمكن من دعوة الناس إلى الإسلام على حقيقته التي أنزله الله تعالى بها، وتحذيرهم وإنقاذهم مما سواه من الأديان والمعتقدات"[1].

وفي هذا البحث سأحاول تسليط الضوء على فنِّ الترجمة الشخصية للداعية، من حيث أهميته وحاجة الداعية والدعوة إليه، ونبذة مختصرة حول هذا الفنِّ، ونماذج من الدعاة الذين ترجموا لأنفسهم، وضوابط هذا الفنِّ، وغاياته وأهدافه، حتى يكون نواة لتعدد الدراسات العلمية الأكاديمية المتعلقة به في تخصص الدعوة الإسلامية وعلومها.

١) نحو تأصيل علمي لمصطلحات علوم الدعوة الإسلامية، د/ إسماعيل علي محمد، ص ١٨ ، ١٩ ، دار الكلمة – القاهرة – ط الأولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

المبحث الأول: حاجة الدعوة إلى فنِّ الترجمة الشخصية

إن الدعوة الإسلامية في العصر الحديث في مسيس الحاجة إلى هذا الفن؛ حيث إن الداعية بحاجة إلى التعرف على حياة الدعاة الذين كان لهم فضل السَّبْقِ في هذا الطريق، وما مروا به من ظروف وأحداث في حياتهم الشخصية والدعوية، وكيف تغلبوا على تلك العقبات التي واجهتهم في طريق الدعوة، وما هي مواقفهم تجاه الأحداث الدعوية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك؛ وما هي تصوراتهم للإصلاح والنهوض بالأمة الإسلامية؛ وما هي مناهجهم وأساليبهم ووسائلهم في الدعوة حتى يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى في الحاضر والمستقبل.

وقد يظن البعض أن هذا الفن مستحدث بالنسبة للدعاة ؟ وأن ذلك من قبيل الإطراء والعُجب والمدح المذموم، وأنه من باب الأولى أن لا يُضيِّع الداعية وقته في الكتابة عن نفسه، وأن يشغل وقته في خدمة الإسلام والمسلمين.

ومن ثم فمن الضروري الإشارة إلى أن هذا الفن ليس مستحدثاً في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، بل جرت عليه عادة كثير من المؤلفين والعلماء وبعض الدعاة القدامى والمحدثين، وقد ذكرتُ طائفة منهم في المبحث الثالث من هذه الدراسة.

والواقع أن ترجمة الداعية لنفسه والكتابة عن حياته لا تُعدُّ من قبيل الإطراء والمدح والثناء، بل يمكن أن تكون من قبيل المراجعات الفكرية والدعوية، ونقد الذات، وتقويم أداء الداعية لنفسه في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، والحرص على إفادة الناس جميعا من تجاربه ومشاهداته، وبخاصة الدعاة العاملين، كما أنها ضرورية للتوريث الدعوي والعلمي والفكري.

ولنا في نبي الله يوسف عليه السلام أسوة وقدوة حسنة في ذلك؛ حيث ترجم لنفسه وأبان بعض صفاته الحميدة للملك في غير عُجب أو غُرور، بل كان ذلك في تواضعٍ جمّ وثقة بالغة، قال تعالى حكاية عنه عليه السلام: **[قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ]** {يوسف:٥٥}.

وقد نستفيد من ذلك إباحة ترجمة الداعية لنفسه، وأن يصف نفسه بما فيه من علمٍ وفضل، وفي ذلك يقول الإمام القرطبي رحمه الله:" قال: **{إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}** فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مُستثنى من قوله تعالى: **{فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}**.

ودلت الآية أيضا على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل"[١].

وقد اعترى هذا الظن بعض الدعاة عندما همَّ وعزم على كتابة ترجمته الشخصية، لكنه لم يُذعن له.

يقول الشيخ " أبو الحسن الندوي" رحمه الله: "وكان من الممكن أن يكبح عنان المؤلف الشعور بأنه يقدم على ارتكاب (بدعةٍ تأليفية) وأن الوقت الذي كان ينفقه في التأليف عن حياة المصلحين والمجددين وعباد الله الصالحين، وإبراز مآثرهم وجلائل أعمالهم، بدأ ينفقه في إطراء نفسه والتنويه بشخصه، ويُضَيِّع بذلك ساعات العمر، ويهيئ أسباب فضيحته ومعايبه، وإن كانت قد صدرت كتب ذات قيمة أدبية وتاريخية في هذا الموضوع بأقلام الكُتّاب والأدباء العرب المعروفين، يحتل فيها

---

١) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ٩ / ٢١٦ ، ٢١٦ ، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض – ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

كتاب مؤلف سلسلة (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) و (ظهر الإسلام) الدكتور أحمد أمين [1] بعنوان "حياتي"، مكان الصدارة والرجحان، الذي لا يتناول أحداث حياته وقصتها فحسب بل تصور مجتمع عصره ومدنيته، ونظام التعليم والتربية فيه، وحياة مصر كلها في عهده، ولكن لم يكن يقنع المؤلف – الذي عاش في البيئة الدينية الهندية – ويبعث فيه الهمة والعزيمة، وجود هذه الأمثلة، فقد كُتبت في القرن الحالي عشرات من الكتب في قصص الحياة الشخصية في أوربا وفي الهند أيضا، وصادفتني ثلاثة أمثلة لأفراد الطبقة العلمية الدينية ومشايخي وأساتذتي الموقرين، أحدهم شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني – رحمه الله تعالى – الذي ألف كتابه "نقش حياة".

وكان المثال الثاني لبركة العصر وريحانة الهند شيخنا شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي – صاحب "أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك" – الذي ألف حياته في سبعة مجلدات لم تقتصر على حياته فقط بل تناولت عهده وبيئته والنظام التعليمي الديني في عصره، وخصائصه ومزاياه وقصصاً من حياة خريجي هذا النظام والقائمين عليه، وطبيعتهم ودورهم ومنهجهم.

---

١) أحمد أمين (١٢٩٥ – ١٣٧٣هـ = ١٨٧٨ – ١٩٥٤م) . أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، تولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عين مدرسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وانتخب عميدا لها (سنة ١٩٣٩م) وعين مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (سنة ١٩٤٧م) واستمر إلى أن توفي. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد. وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفا وإفاضة ، ومن تآليفه المطبوعات: (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) و (ظهر الإسلام) و (يوم الإسلام) و (النقد الأدبي) جزآن و (زعماء الاصلاح في العصر الحديث) و (إلى ولدي) و (حياتي) و (قاموس العادات) و (الصعلكة والفتوة في الإسلام) و (مبادئ الفلسفة) مترجم ". الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ١ / ١٠٠ ، ١٠١ ، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

وكان المثال الثالث للأستاذ الأديب الكبير الشيخ عبد الماجد الدريابادي صاحب "تفسير القرآن" بالأردية والإنكليزية ، الذي ألف في حياته كتاباً في أسلوبه الفريد الخاص، فهو يثير العظة والاعتبار ويعلم الأدب والسلوك، وهو تسجيل ناطق مؤثر لعهد طفولته وشبابه وكهولته.

كانت هذه الأمثلة الثلاثة لهذه الشخصيات الكبيرة التي أعترف – مع تفاوت مراتبهم ومكانتهم – بفضلها وأتشرف بمعاصرتها، حافزة على هذا العمل ومُدعمة له، ورأيت أن هذا العمل التأليفي لم يعد في وسطنا وطبقتنا "بدعة محدثة" وإن كانت فهي "بدعة حسنة"(١).

ومن ثم ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى الاهتمام بهذا الفن، والقيام بكتابة تراجمهم الشخصية حتى تستفيد منها الدعوة في كل عصرٍ ومِصر.

وبالرغم من حاجة الدعوة – الماسّة – إلى هذا الفن إلا أننا نجد نُدْرةً في الكتابة والتأليف الدعوي فيه، ما أوجد إشكالية كبيرة في هذه الدراسة، فعندما نقوم بالنظر في جهود الدعاة المحدثين وأعمالهم التأليفية نجد كثيراً منهم قد أغفل هذا الجانب، ولم يهتم بالكتابة عن نفسه والترجمة لحياته، وعندما ندقق النظر ونحلل هذه الإشكالية نجد بعض الأسباب التي أدت إلى هذه الندرة والقلة التأليفية من الدعاة في هذا الجانب.

ويمكن ذكر بعض هذه الأسباب على النحو التالي:

أولاً: هضم الذات

قد يُغفل الداعية التأليف في هذا الفن لأنه يهضم ذاته، ويستصغر نفسه، ويظن أنه بأعماله وجهوده في خدمة الدعوة لا يستحق الترجمة

١) في مسيرة الحياة، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص ٢٢ ، ٢٣ باختصار، دار القلم – دمشق – ط الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

لحياته وأعماله، وهضم الداعية لذاته مطلوب في أغلب الأحيان، وله آثاره الإيجابية المتعددة في كثيرٍ من الأوقات، إلا أنه هنا غير محمود بإطلاق، بل يمكن للداعية أن يكتب عن نفسه ويترجم لشخصيته في تواضع جمّ، وفي غير عُجْبٍ أو كبرياء أو غرور، وبذلك يستطيع الجمع بين الأمرين معاً، بين الترجمة لنفسه، وكتابة تجاربه وخبراته، وإفادة الدعوة بها، وبين هضم الذات، والتواضع الجمّ.

ويؤكد وجود هذا السبب عند بعض الدعاة ما ذكره الشيخ "أبو الحسن الندوي" رحمه الله عندما عزم على كتابة ترجمته الشخصية، حيث قال: "فقد صدرت عشرات من الكتب بقلم المؤلف في هذه المجالات الفسيحة المتنوعة – في العقائد والعبادات والسيرة وغير ذلك – ولكنه لم يواجه في بدء تأليف جديد هذا الصراع العقلي والتردد النفسي الذي واجهه في بدء هذا المؤلف عن حياته، وقصة ماضيه، وقد مضت أعوامٌ وسنون، والمؤلف يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، يتهيب الخوض في هذا الموضوع، ولا يجرؤ على الكتابة فيه.

وقد كان لذلك أسباب عديدة، منها تلك الكلمة المأثورة الحكيمة (ما هلك امرؤ عرف قدره) التي كنت في ضوئها أستصغر نفسي في مجال التنويه بها وأتضاءل أمام الرجال الذين كُتب في سيرتهم وتراجمهم، أو تناولوا تقييد المذكرات لحياتهم، فلم أكن يوماً سياسياً بارزاً، ولا قائداً محنكاً، ولا صاحب شهرة وجاه عريض، أو تربية وإرشاد، ولا نابغة من نوابغ العلم والفن، لم يكن شيء من ذلك حتى يسوغ لي التأليف عن نفسي"[1].

---

١) السابق، ١ / ٢٠ ، ٢١ . وهذا من تواضع الشيخ رحمه الله رحمة واسعة .

ثانياً: الخوف من آثار الترجمة

قد يتغلب الداعية بقوة إيمانه، وسلامة عقيدته، وحسن منطقه وتفكيره على السبب آنف الذكر فيعزم على الكتابة عن نفسه وبيئته، وعصره، وتجاربه، ومشاهده، غير أنه قد يتوقف أو يتردد خوفاً من آثار هذه الكتابة التي قد يتعرض فيها لبعض الأشخاص أو الهيئات بالتجريح أو النقد، أو يخشى من لوم بعض الأصدقاء على نسيانهم وعدم ذكرهم أو المغالاة في الثناء عليهم وإطرائهم، أو أن تتحكم منه العاطفة عند ذكر آرائه ومواقفه من الأحداث المعاصرة له، وخشية أن يفقد الموضوعية في الكتابة والنقد والقياس.

يقول الشيخ الندوي رحمه الله: "ثم إنه ليس من الممكن المضي في هذا التأليف خطوة أو خطوتين بدون ذكر أحداثي ووقائعي، وقصص رفقتي وزملائي ومعاصريّ، التي لو خلت منها قصة حياة لكانت قصة باردة ميتة مجردة عن الحيوية، بعيدة عن الطبيعة البشرية، ويخشى في كل موضع من المواضيع من الزلات والهفوات، وخداع النفس والغرور بالذات، كما يخاف فيها من الإساءة إلى الأصدقاء والزملاء، وتجريح شعورهم بعدم توفيتهم حقوقهم، أو من المغالاة في تقريظهم، والمبالغة في الثناء عليهم.

ثم إنه لا يتوقع من إنسان حيّ واعٍ، يملك ضميراً حياً، وشعوراً يقظاً، أن يغمض عينه حين الحديث عن قصة حياته عن أحداث البيئة وظروفها وأوضاعها، والحركات والجماعات التي عاشها، والحوادث والوقائع التي احتك بها... ثم يكون قد صادف زمناً يقطع التاريخ فيه مسافة قرون في سنين، ومسافة أعوام وسنين في أسابيع وأيام، وتقع فيه من الحوادث والوقائع ما لا تقلب الخارطة السياسية العالمية ظهراً لبطن فحسب، بل تغير قوالب الحياة، وملامح الإنسانية وتؤثر بصورة

خاصة على حال الأمة ومستقبلها، التي يرتبط بها مصير الكاتب وقلبه وضميره.

في مثل هذا الوضع لا يستطيع أكبر مؤرخ محايد حتى أيّ قاصٍّ محترف – يحيك القصص للمتعة والتسلية – أن يجرد القلم عن القلب والعواطف عن الحوادث، وأحداث العالم عن قصة الحياة الشخصية وأحداثها، ويحكي قصته في تجرد تام وحياء كامل"(١).

ثالثاً: كثرة الشواغل والعقبات

قد يتغلب الداعية على السببين المتقدمين، فيقصد هذا الفن ويريد كتابة ترجمته الشخصية، لكن قد تحول بينه وبين ذلك كثرة الشواغل والأعمال، ومن ثم تنتهي حياة الداعية دون أن يطلعنا على حياته العامة والخاصة، وعلى تجاربه وخبراته في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ودون أن يسجل لنا في مؤلف علمي رؤيته للإصلاح، ومواقفه من أوضاع المسلمين في عصره ومكانه، وكيف كانت طريقته في الدعوة، وما هي وسائله وأساليبه فيها.

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله : "جاءني من يطلب مني أن أُدّون ذكرياتي في مجلة "المسلمون"، وكان نشر هذه الذكريات إحدى أمانيّ الكبار في الحياة، ولطالما عزمت عليها ثم شُغلت عنها، وأعلنت عنها لأربط نفسي بها فلا أهرب منها"(٢).

ويقول الشيخ "أبو الحسن الندوي" رحمه الله: "فكلما ألحّ علي الأصدقاء الأعزاء في الكتابة عن حياتي، أو وجدت اندفاعاً إليها في

---

١) نفس المصدر، ١ / ٢٠ ، ٢١ .

٢) ذكريات علي الطنطاوي، ١ / ١٣ ، ١٤ باختصار، مراجعة: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة – السعودية – ط الخامسة ٢٠٠٦م .

نفسي، صرفتني مشاكل الطريق وعقباته نظراً إلى الحكمة المأثورة (في السكوت سلامة وفي الكلام ندامة)"[١].

ومن ثم ينبغي على الداعية أن يحرص في بعض الأحيان على التخفف من بعض الأعمال والشواغل، ثم ينظم وقته، ويتفرغ للكتابة عن نفسه وحياته، وأن يستعين بالله تعالى على ذلك، وأن يسدد ويقارب، والله سبحانه وتعالى خير مُعين وحافظ.

رابعاً: الاعتماد على كتابة الآخرين عنه

من أهم الصوارف التي قد تصرف الداعية عن كتابة ترجمته الذاتية، ظنه واعتقاده بأن الآخرين من تلامذته – مثلاً – أو من مُؤرخي زمانه أو من كُتّاب عصره سوف يكتبون عنه، من حيث حياته، ومواقفه، ومنهجه، وإنتاجه الفكري والدعوي، ولعلّ ذلك من أهم الأسباب التي صرفت كثيراً من العلماء والدعاة عن الترجمة لذواتهم، ومن ثم فقدت الدعوة الإسلامية الاستفادة من تجاربهم وخبراتهم في الدعوة، وفقد علم تاريخ الدعوة حفظ ذكرهم، ومعرفة مناقبهم، ومعرفة أخبارهم وأحوالهم. وقد كان هذا المانع موجوداً عند العرب قديماً، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "ولعل العرب كانوا أحرص الناس على حياتهم الخاصة حين انصرفوا عن التراجم الذاتية لأنفسهم، ولعل أصحاب الخطر والشأن منهم من أهل القدرة على الكتابة قد عدلوا عن الترجمة لأنفسهم ما دام غيرهم من الكُتاب والمؤلفين قد تولى ذلك عنهم"[٢].

---

١) في مسيرة الحياة، ١ / ٢١ .

٢) التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، ص ٢٥ ، دار المعارف، ط الثالثة، بدون.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى تذكير الداعية بأنه أصدق من يكتب لنا عن نفسه، وأوثق من يؤرخ لحياته، وأحرص من يُطلعنا على جانب مهمٍ من جوانب تاريخ الدعوة الإسلامية في عصره ومكانه، ومن ثم ينبغي عليه أن يتخلص من هذا الظن، خاصة في عصرنا الحاضر؛ حيث إن الدعاة إلى الله تعالى يُتعمد – قصداً – إهمال ذكرهم والحديث عنهم والتأريخ لحياتهم ومناهجهم ودعوتهم.

وفي ذلك يقول الدكتور محمد رجب البيومي رحمه الله: "وإذا كان هناك من يؤرّخون للنهضات في ظلال مُثُلِها المرموقة، واتجاهاتها الهادفة، فإن تأريخ هذه النهضات من حديث أبطالها المجاهدين يقدّم الوجه الثاني من هذا التاريخ، وهو لون يجد الترحيب من قرّائه، إذ يتخلله من المتعة العقلية والنفسية ما يساعد على استيعابه وتمثيله، وبخاصةٍ: إذا كان العاملون تحت راية الإسلام لا يجدون التقدير المنصف من رجال الإعلام في دنيا الصحافة والإذاعة على أوسع نطاق يجذب أنظار الجماهير، وهو إهمال تبحث عن دوافعه الأليمة فيلفحك شرار الغضب، وبخاصة حين تجد الترويج الرخيص لأناس لم يبلغوا مِعشار ما بلغه هؤلاء المكافحون، ولكن الغرض يعمي ويصمّ، فلا أقل من أن يقوم تلاميذ هؤلاء المستشهدين في حومة الإصلاح الديني بحقهم الأكيد في الاحتفال والتنويه"[1].

١) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د محمد رجب بيومي، ١ / ٥ ، ٦ ، دار القلم – دمشق – ط الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

خامساً: ضخامة المعلومات والتفاصيل

قد يكون من ضمن الصوارف والموانع أيضاً كثرة المعلومات والتفاصيل التي قد يملُّ الداعية من ذكرها ويتكاسل عن تقييدها، "إذا أن أكثر ما يصد الناس عن كتابة ذكرياتهم ضخامة ما فيها من معلومات وتفاصيل، فإذا نظر إلى شريط حياته وتدبَّره فإنه سيوقن بعظم ما هو مقبل عليه، ومثل هذا قد ينصرف كلياً عن كتابة أي شيء، خاصة إن كان في زمان الشيخوخة أو حولها، وبعضهم قد يكتفي بكتابة شيء يسير يضيع على الناس معه كنوز عظيمة، فعلاج مثل هذا أن يشجع على الكتابة ولو نصف ساعة كل يوم، أو أن يجمع له بعض الطلبة النابهين يسجلون له ما يقول في جلسات متعددة طويلة، ويحفزون ذاكرته بما يلقونه عليه من أسئلة، وهذا مجرَّب نافع لا شك، وكم من ممتنع عن كتابة ذكرياته سَلُس قياده بمثل هذه الأفكار، وليُعلم أن هؤلاء كنز للأجيال اللاحقة، فليحرص عليهم وليُتخير منهم من عظمت قيمة ذكرياته بعظيم ما ورد فيها من أحداث" [١].

طريقة كتابة الداعية لترجمته الشخصية:

إذا استعان الداعية بالله تعالى وعزم على كتابة ترجمته الشخصية، فينبغي عليه أن يسجل كل حديث، وكل انطباع في يومه غالباً، وفي أقرب وقت إذا فاته التسجيل في اليوم، وأن يتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، وتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الإمكان، فتأتي في الكتاب صور من الأساليب والآداب المحلية، يستفيد

١) التوريث الدعوي، د/ محمد موسى الشريف، ص ٥٢، ٥٣ ، دار الأندلس الخضراء – جدة – ط الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م .

بها مؤرخ الأدب فيما بعد ويتمثل القارئ لهذا الكتاب بعد أن مضى عليه زمن شخصية المتحدث، وسماته الحقيقية، ويتمثل البيئة التي دونت فيها هذه الترجمة، وما كان يجيش فيها من صراع نفسي، واصطراع فكري، واضطراب اجتماعي، وقلق وتذمر، وثورة، وما كان يتمخض به هذا المجتمع من حوادث لم تقع، وشخصيات لم تولد، ومن تطورات لم تتضح.

وكذلك يلتزم أن يبدى آراءه وملاحظاته، وانطباعاته على أثر مقابلة، أو زيارة، أو حديث أو مشهد، وما أحدثه الحادث من رد فعل، أو أثر نفسي، ويسجل كل ذلك في أسلوب صريح مكشوف، بعيد عن غموض وتحفظ، وعن كل مجاملة وتكلف، فهو وصف وتصوير من إنسان حي، يحمل القلب والعاطفة، والعقيدة، ويؤمن بمبادئ وقيم، ومُثُل، ويرى الدين الإسلامي الذي أكرم الله به هذه الأمة، واختارها لتمثيله ونشره في العالم، المقياس في كل شيء، فيقيس به الأعمال والأخلاق، والرجال.

ومن ثم تأتي ترجمته وثيقة تاريخية دعوية كبيرة، والوثائق التاريخية لا تفقد قيمتها وأهميتها مهما تقدم زمانها، بل كلما تقدم الزمان، وبَعُدَ هذا العصر الذي دونت فيه هذه الترجمة ازدادت قيمة هذه المعلومات، والانطباعات التي جاءت في صفحاتها، فيرى فيها القارئ ملامح وقسمات وجوه، لا يحدها كتاب تاريخ، ويقرأ فيها اعترافات وتصريحات لقادة فكرة، وزعماء إصلاح، وأئمة علم، وأمراء بيان، قد دوى أسماؤهم في الآفاق، لا يجدها حتى في مؤلفاتهم ومذاكراتهم، وقد يجد فيها الباحث بعد قرون حلقة مفقودة تكمل بحثه، وتملأ الفراغ الهائل فيه، قد يئس منها، ويستفيد بها المؤرخ ما لا يستفيد بآلاف من

الصفحات من كتب التراجم، وأوراق الجرائد والمجلات، والأحاديث والمقابلات التي اعتادت الصحف أن تنشرها[١].

كما ينبغي عليه "تسطير الوقائع كما وقعت مع التعليق عليها بما هو مناسب للمقام حتى تكتمل الفائدة المرجوّة من إيرادها، فإن بعض الوقائع لا يكاد القارئ يفقه المراد من تسطيرها أو يجهل سبب وقوعها، أو لا يدرك خلفيات الأحداث ومجرياتها، لذلك لا بد من كتابة الوقائع مع التعليق المناسب، واستخلاص العبر والعظات مما جرى، فإن ذكريات الدعاة ليست كغيرها من الذكريات"[٢].

ومما سبق تتضح حاجة الدعوة الإسلامية – الماسّة – إلى هذا الفنِّ، وبان أيضاً الأسباب الرئيسة التي أدت إلى إشكالية التأليف الدعوي في هذا المجال وكيفية التغلب عليها، وطريقة كتابة الداعية لترجمته الشخصية.

أما عن تاريخ هذا الفن، وأبرز من كَتَب فيه، ودوافعه بشكل عام، فهذا ما سنعرفه في المبحث اللاحق بمشيئة الله تعالى.

---

١) مذكرات سائح في الشرق العربي، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص ٥ وما بعدها باختصار وتصرف، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثالثة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٢) التوريث الدعوي، ص ٥٢ .

المبحث الثاني: نُبْذَةٌ حول فنِّ الترجمة الشخصية

سأعرض في هذا المبحث- بمشيئة الله تعالى – نُبذةً مختصرةً حول فنِّ الترجمة الشخصية بشكل عام، وذلك على النحو التالي:

أولاً: الفرق بين مصطلح "الترجمة" و"السيرة"

ليس هناك فرق كبير بين "الترجمة الشخصية" و" السيرة الذاتية"؛ حيث تأتي كلمة السِّيرَة في معاجم اللغة العربية ويُقصد بها: "الطريقة، وسار في الناس سِيرَةً حسنة أو قبيحة، والجمع (سِيَرٌ)، وغلب اسم السير في ألسنة الفقهاء على المغازي، و(السِّيرَةُ) أيضا الهيئةُ والحالةُ"[١].

وأريد بها أيضا: "ترجمة الشخص"[٢].

لكن " إذا تتبعنا تطور "الترجمة الذاتية" في الأدب العربي في عصوره القديمة والوسطى، لنتبين تطور هذا الاصطلاح، وجدنا أن لفظي "ترجمة" و "سيرة" كانتا تدوران على معنى "تاريخ الحياة"، وقد اتخذ التأريخ للفرد صوراً مختلفة لدى العرب، وكانت "السيرة" أُولى هذه الصور، وقُصد بها حياة الرسول الكريم ومغازيه، ثم تعددت أنواع التأريخ للأفراد بعد ذلك، فكان "الجرح والتعديل"، و "الطبقات"، ثم "التراجم" في العصور المتأخرة التي تلت عصر الرواية والتدوين.

وكل هذه الأنواع هي الأقسام التي ينحل إليها "التأريخ للأفراد" عند العرب، وظلت السيرة عصوراً يقتصر استعمالها على بيان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تطور الاستعمال في عصور ثانية، فاستعملت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة، بدليل ما يذكره صاحب "كشف الظنون" من ظهور سير كثيرة منذ القرن الرابع الهجري، كسيرة

---

١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ١ / ٢٩٩ ، المكتبة العلمية – بيروت – بدون.

٢) المعجم الوجيز، ص ٣٣١.

أحمد بن طولون [١]، لابن الداية (المتوفى سنة ٣٣٤هـ)، وسيرة صلاح الدين [٢]، لابن شداد (المتوفى سنة ٦٢٢هـ).

أما كلمة " الترجمة " فهي كلمة دخلت إلى العربية عن اللغة الآرامية، ولم يكن الاصطلاح قد جرى على استعمالها فيما يبدو إلا في أوائل القرن السابع الهجري، حين استخدمها "ياقوت" في معجمه [٣] بمعنى: حياة الشخص، ويرجح هذا الظن أن أبا الفرج في كتاب "الأغاني" [٤] لم يستعمل لفظة "ترجمة" عند كلامه على حياة الشعراء وغيرهم، وكان يسبق كلامه بمثل قوله: خبر أبي قطيفة ونسبه ، أو أخبار بشار بن بُرد ونسبه.

وعلى مر العصور نرى كلمة "ترجمة" يجري الاصطلاح على استعمالها لتدل على تاريخ الحياة الموجز للفرد وكلمة "سيرة" يصطلح

---

١) أحمد بن طولون، أبو العباس: الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور. تركي مستعرب، (٢٢٠ – ٢٧٠ هـ = ٨٣٥ – ٨٨٤ م)، كان شجاعاً جوادا حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، موصوفاً بالشدة على خصومه والفتك فيمن عصاه. بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة. ومن آثاره قلعة يافا (بفلسطين) . يراجع: سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ١٣ / ٩٤، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الأعلام، ١ / ١٤٠.

٢) صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ – ٥٨٩ هـ = ١١٣٧ – ١١٩٣ م)، يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الاسلام، وكانت له انتصارات كثيرة وكبيرة على أعداء الإسلام، وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والساحل الشامي "يوم حطين" الذي تلاه استرداد طبرية وعكا ويافا إلى ما بعد بيروت، ثم افتتاح القدس (سنة ٥٨٣). يراجع: الأعلام، ٨ / ٢٢٠. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في مناقب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، القاضي بهاء الدين بن شداد، مكتبة الخانجي – القاهرة – ط الأولى ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٣) معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر – بيروت – ط الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٤) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

على استعمالها لتدل على التاريخ المسهب للحياة، وإذا كان السابقون يفرقون في الاستعمال بين اللفظتين، فإن الاصطلاح الحديث لا يفرق بينهما كثيرا؛ بل يستخدم إحداهما مرادفة للأخرى، ومن ثم جاء الاصطلاح المعاصر "الترجمة أو السيرة الذاتية".

ولم يكن القدماء يعرفون بطبيعة الحال هذا المصطلح، رغم أنهم كتبوا عن أنفسهم كتابات تنتمي إلى ما نسميه اليوم بالترجمة الذاتية"[١].

وجدير بالذكر أن مصطلح الترجمة الشخصية يختلف اختلافاً فنيا – أيضاً – عن مصطلح "المذكرات" و "الذكريات" و "اليوميات" و "الاعترافات"، وفي ذلك يقول د/ يحيى عبد الدايم: "وبادئ ذي بدء يمكن القول بأن الترجمة الذاتية الفنية، ليست هي تلك التي يكتبها صاحبها على شكل "مذكرات" يُعنى فيها بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي، وليست هي التي تكتب على صورة "ذكريات" يُعنى فيها صاحبها بتصوير البيئة والمجتمع والمشاهدات أكثر من عنايته بتصوير ذاته، وليست هي المكتوبة على شكل "يوميات" تبدو فيها الأحداث على نحو متقطع غير رتيب، وليست في آخر الأمر "اعترافات" يخرج فيها صاحبها على نهج الاعتراف الصحيح، وليست هي الرواية الفنية التي تعتمد في أحداثها ومواقفها على الحياة الخاصة لكاتبها، فكل هذه الأشكال فيها ملامح من الترجمة الذاتية، وليست هي؛ لأنها تفتقر إلى كثير من الأسس التي تعتمد عليها الترجمة الذاتية الفنية"[٢].

ويجدر بنا التأكيد في هذا الصدد على أنه وإن كان علماء الأدب يفرقون بين كل هذه المصطلحات من الناحية الفنية التخصصية، إلا أننا

١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص ٣٠ وما بعدها.

٢) السابق، ص ٥.

في تخصص الدعوة الإسلامية وعلومها نطلب من الداعية أن تشمل ترجمته الذاتية كل معاني "المذكرات" و"الذكريات" و"اليوميات" و"الاعترافات"؛ لأنها تحوى فوائد عديدة تتعلق بشخص الداعية، ودعوته، وواقعه، ومجتمعه، وبيئته، وتجاربه، والأحداث التي مرت به، وغير ذلك مما تستفيد منه الدعوة في حاضرها ومستقبلها.

ثانياً: تاريخ فنِّ الترجمة الشخصية

أكد الباحثون أن تاريخ هذا الفنِّ قديم جداً، وقد عرفته الأمم الماضية معرفة جيدة، يقول د/ شوقي ضيف: "لعل أقدم صور الترجمة الشخصية تلك الكلمات التي كان ينقشها القدماء على شواهد قبورهم، فيُعرِّفون بأنفسهم، وقد يذكرون بعض أعمالهم، واشتهر المصريون في عصور "الفراعنة" بكثرة ما نَقشوا على قبورهم وأهراماتهم، وفي معابدهم وهياكلهم من تواريخهم وأفعالهم، وكانت تسري هذه الروح في الأمم القديمة من حولهم.

وأُثر عن ملوك الفرس وصايا لأبنائهم توضح سياستهم، نقلها عنهم العرب فيما نقلوه من تواريخهم وأخبارهم.

ومع مر التاريخ نشأ المؤرخون، ونشأت طبقات من المفكرين والفلاسفة، أودعت كتاباتها كثيراً من حياتها وأحوالها وتجاربها، وكان من أهم ما قرأ له العرب فصولا طويلة في ذلك "جالينوس" الفيلسوف والطبيب اليوناني المشهور"[١].

وقد برزت في هذا الفنِّ أممٌ كثيرة ومتعددة، ولعل أهم هذه الأمم: الأمة العربية والإسلامية؛ حيث "حفلت خزائن كتب الماضين – المسلمين – بجملة وافرة من هذا الضرب من التراجم، يتحدث الواحد

١) الترجمة الشخصية، د شوقي ضيف، ص ٧ باختصار، دار المعارف – القاهرة – ط الرابعة، بدون.

منهم عن حياته العلمية، أو ما له من آثار تأليفية، وفي مجال الدرس والتعليم، والفتيا، وتقلد الأمور، بعد ذكره لبيئته وحياته منذ الطفولة وحتى ساعة تقييده لترجمته، وما وقع من مؤثرات على حياته التي يعيشها في مجاله الذي اشتهر به، وما له في سبيل ذلك من فكر وكفاح.

ولأهل الإسلام في هذا فضل لا يُنكر مع ما يتحلى به من واقعية بدليل عدالته في الإسلام وثقته"[١].

وبالرغم من إسهام المسلمين الكبير في هذا الفن إلا أننا نجد بعض الباحثين يؤكد على أن اهتمام المسلمين بهذا الفن كان أقل من المتوقع، فيقول: "وعجيب جداً أن يَفتنَّ المسلمون في كتابة التاريخ والسير، فلم يدعوا لوناً من ألوان التاريخ والتراجم إلا عالجوه على كثرة، ولكنهم لم يفكروا في المذكرات واليوميات الشخصية إلا على حال من النُّدرة، ولم يفكروا في التراجم الذاتية إلا على حال من القلة القليلة التي لا تتكافأ مع هذا الفيض الزاخر من التراجم والسير"[٢].

ويذهب د/ شوقي ضيف – حسب نظره – إلى أن انشغال المسلمين بهذا الفن كان تقليداً للأمم الغربية، فيقول: "حاولت في هذا الكُتيب أن أعرض صور الترجمة الشخصية عند العرب في عصورهم المختلفة، من العصر العباسي [٣] إلى العصر الحديث، وهو فن مستحدث عندهم، قَلَّدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية التي قرأوا آثارها،

---

١) العلماء الذين ترجموا لأنفسهم، ص ٢٥.

٢) التراجم والسير، ص ٢٤.

٣) كان ابتداء العصر العباسي سنة ١٣٢هـ، واستمرت الخلافة العباسية نحو خمسمائة سنة. يراجع: الكامل في التاريخ، الإمام العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم (المعروف بابن الأثير)، ٥ / ٦٣ وما بعدها، تحقيق د محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، الشيخ محمد الخضري بك، ص ٩ وما بعدها، تحقيق الشيخ محمد العثماني، دار القلم – بيروت – ط الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

وخاصة اليونان، فإن بعض متفلسفتهم ترجم لنفسه، وتحدث عن كتبه، وحاكاهم متفلسفو العرب، واتسعت المحاكاة، فدخل فيها العلماء والمتصوفة ورجال السياسة"[١].

ومن بين العلماء الذين ترجموا لأنفسهم ما يلي:

(١) **ابن الداية:** أحمد بن أبي يعقوب بن يوسف المعروف بابن الداية البغدادي ت سنة ٣٤٠هـ، ترجمه ياقوت في معجمه ٥ / ١٥٤ – ١٦٠، وذكر مؤلفاته ومنها (كتاب ترجمته).

(٢) **العطار:** محمد بن الحسن بن يعقوب العطار المقرئ، ت سنة ٣٥٤هـ، قال ياقوت في ترجمته له في معجمه في تعداده لمؤلفاته: وكتاب أخبار نفسه.

(٣) **أبو حيان التوحيدي:** علي بن محمد بن العباس، ت سنة ٤٠٠هـ، ذكر أشياء في ذلك في كتابه: الصداقة والصديق.

(٤) **ابن سينا:** الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي الفيلسوف الرئيس، ت سنة ٤٢٨هـ.

(٥) **أبو حامد الغزالي:** محمد بن محمد، ت سنة ٥٠٥هـ، ترجم لحياته العقلية في رسالته: المنقذ من الضلال.

(٦) **أسامة بن منقذ:** الفارس المشهور في حروب المسلمين ضد الصليبين، ت سنة ٥٨٤هـ، ترجم لنفسه في كتابه "الاعتبار"، صنفه وهو ابن تسعين سنة، وهو مطبوع ومترجم إلى عدة لغات.

(٧) **أبو شامة المقدسي:** شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل، ت سنة ٦٦٥هـ، ألف كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين" وجعل له ذيلاً ترجم لنفسه فيه في حديثه عن سنة ٥٩٩هـ.

---

١) الترجمة الشخصية، ص ٥.

(٨) **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد، ت سنة ٨٠٨هـ، ترجم لنفسه في تاريخه، وأُفردت في مجلدة باسم "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا".

(٩) **السيوطي:** جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد، ت سنة ٩١١هـ. ترجم لنفسه برسالة في كتابه: حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة"[١].

وقد اهتم العلماء والأدباء وبعض الدعاة في العصر الحديث بهذا الفن، ومن بينهم:

- **الطهطاوي:** رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، ت سنة ١٢٩٠هـ، في مجلة مجمع اللغة العربية بمصر، ذكر فيها أنه ترجم لنفسه.
- **علي مبارك:** من أدباء مصر ومؤرخيها، توفي سنة ١٣١٢هـ، ترجم لنفسه في كتابه: الخطط التوفيقية.
- **الإمام محمد عبده،** المتوفى سنة ١٣١٣هـ، في رحلته.
- **أحمد شوقي:** الشاعر المصري المشهور، المتوفى سنة ١٣٥١هـ، ترجم لنفسه باسم: مذكرات.
- **الأستاذ محمد رشيد بن علي رضا،** صاحب المنار، المتوفى سنة ١٣٥٤هـ.
- **أحمد أمين:** المصري المشهور، المتوفى سنة ١٩٥٤هـ، ترجم لنفسه في كتاب مفرد باسم: حياتي.
- **محمد البشير بن عمر الإبراهيمي المغربي،** ت سنة ١٣٨٥هـ، ترجم لنفسه ترجمة حافلة بعنوان "أنا"، منشورة في مجلة مجمع اللغة العربية بمصر.

---

١) العلماء الذين ترجموا لأنفسهم، ٢٦ وما بعدها باختصار.

- **طه حسين:** الأديب المصري المشهور، ترجم لنفسه في كتاب مفرد باسم: الأيام[١].

وبالرغم من كثرة المؤلفات القديمة وتعددها في هذا الفن؛ إلا أنه "لابد من التسجيل هنا، أن الحياة التي صوروها، والبلاد التي رسموها، والمجتمع الذي سجلوه للأجيال القادمة، كان كل ذلك بسيطا محدودا متكررا لم يتسع، ولم يتعقد، ولم يتنوع، ولم يتجدد شأن الحياة في هذا العصر، والمجتمع في هذا الزمان، ولم يعرف الثورات الفكرية، والحركات السياسية، والمؤسسات الكثيرة، والفلسفات المتناحرة، والشخصيات المتناقضة، تكاد الحياة تكون في زمانهم صورة واحدة، ونغمة واحدة، فكانت مهمتهم سهلة بسيطة، لا تحتاج إلى الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر، ومن جو إلى جو آخر إلا نادراً.

ثم إن أكثر هذه الكتب إنما كتبت أو أمليت بعد أن مضى على هذه الرحلات والمشاهدات زمن طويل، وكان ذلك باقتراح أمير أو صديق، وإذا كانت الذاكرة لم تخن أصحابها في تسجيل الحوادث، وتحديد الأمكنة، وتعيين المقادير وإن كان بعض الناقدين قد ساورهم الشك في دقة هذه التفاصيل فمما لا شك فيه أنه لا ثقة بالانطباعات التي هي أشبه بالظلال والأمواج، فلا تدوم ولا تبقى، ويستطيع الإنسان أن يستعرض ما شاهده، ولا يستطيع أن يستفيد مما شعر به أو ترك الحادث فيه من أثر نفسي، وما هاج من إعجاب أو امتعاض أو لذة أو ألم، ولم تكن طريقة المذكرات، أو تسجيل اليوميات قد حدثت بعد عند الرحالين والمؤلفين، أو حدثت ولكن لم يطلع عليها القراء، ولم تتناولها يد النشر والإذاعة.

---

١) السابق، ص ٤٩ وما بعدها.

وكثرت كُتُب الرحلات في هذا العصر [الحديث] لنشاط حركة التأليف والنشر، ولتيسر السفر في هذا الزمان، وتوفر أسباب الراحة والسرعة، والوصول إلى أقاصي البلدان، ودعاية الحكومات وتشجيعها حتى تشكلت وزارة السياحة في كثير من الحكومات، فكثرت كتب في اللغة العربية في العهد الأخير، ولكنها على ما تحتوي عليه من فوائد علمية وجغرافية، ومادة للسمر، وتزجية الوقت، وترويح السمر، وتعريف ببعض جوانب الحياة المدنية والاجتماعية، يغلب عليها الجانب الجغرافي وتعتني بالآثار والمشاهد أكثر من أي شيء، ولا تصور في الغالب إلا جانبا من جوانب الحياة، يتلاءم مع ذوق المؤلف، أو يتجاوب مع عرض رحلته، وهدفها، فإذا كان الرحالة أديباً اقتصر على ذكر الأدباء المشهورين، وتصوير الحياة الأدبية في هذه البلاد، ووصف النشاط الأدبي، وإذا كان رجلا دينياً أسهب في وصف الحالة الدينية، وأغرق في التفاؤل أو التشاؤم، وإذا كان رجل سياسة أو إدارة ذكر مقابلة رجال السلك السياسي، واسترسل في ذكر وصف الحركات والمذاهب السياسية وهلم جراً.

ثم يتجرد أكثر هذه الكتب عن العاطفة والعقيدة، ومشاعر الـــنفس وأحاسيسها، ويمثل فيها المؤلفون دور آلة التصوير، أو أداة التسجيل من غير تعليق على ما يشاهدون، وصدى في النفس لما يسمعون، فلا يسمع القارئ من خلال كتاباتهم دقات قلوبهم، وهمسات ضمائرهم، ويمكنه أن يضع على غلاف كتاب من هذه الكتب اسم مؤلف أجنبي، لا يتصل بهذا المجتمع بثقافة أو نسب، ولا يلتقي معه على عقيدة أو ديانة، ولا يرتبط بعاطفة أو وجدان، وذلك إن اعتبره بعض الناس فضيلة وكمالا، ففـــي علماء الأدب من يعتبره نقصاً وعيباً، فإن الكتابة التي لا يستطيع القارئ

أن يحدد زمانها وبيئتها، ولا يهتدي إلى عقيدة مؤلفها وفكره، والقيم والمُثُل التي يحبها، وينتصر لها، ولا يشعر فيها بمرارة ألم أو حزن، وحلاوة إعجاب ورضاً، إنها كتابة مصطنعة لا تؤثر في النفس ولا تصلح للبقاء"[١].

ثالثاً: أنواع الترجمة الشخصية

تعددت أنواع الترجمة الشخصية بحسب تعدد وتنوع اتجاهات أصحابها وغايتهم، وأدى هذا التعدد والتنوع إلى إثراء هذا الفن وتميزه، ومن بين هذه الأنواع ما يلي:

(١)الترجمة الشخصية الفكرية

اهتم بعض العلماء في ترجمتهم الذاتية بتصوير العالَم الفكري لذواتهم، وتفسير سمات هذا العالَم وخصائصه ومقوماته، وهذه الترجمة تعكس ما عانوه في سبيل تثقيفهم الذاتي وفي سبيل البحث عن أسلوب ينقل كل منهم أفكاره عن طريقه، وأغلبهم صور الطريق المضنى الذي قطعوه لتثقيف أنفسهم حتى تتحقق لهم الصلة بالمجتمع عن طريق إتاحة الفرصة ليقولوا ما عندهم.

وهذا اللون من الترجمات الذاتية غير قليل في العصر الحديث، وهو في جملته يعكس لنا تيارات الفكر العربي المعاصر وقضاياه، من خلال تصوير المترجم لذاته وموقفه إزاء التيارات والمشكلات الفكرية في جيله كله.

---

١) مذكرات سائح في الشرق العربي، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص ٤ وما بعدها، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثالثة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

ومن بين هؤلاء الذين اهتموا بترجمتهم الشخصية في هذا الإطار: أحمد أمين، والعقاد [١]، وعبد الرحمن شكري [٢] وغيرهم [٣].

(٢) الترجمة الشخصية السياسية

"وهذا النوع يصور العالَمَ السياسي للكاتب، وينقل إلينا سمات هذا العالم ومقوماته.

وأصحاب هذا النوع لهم مواقف شخصية أثارت حولهم الخصومات، ولذا فإنهم يدافعون فيها عن أنفسهم، والدفاع عن النفس من أقوى عناصر الترجمة الذاتية، وأعظم الحوافز على كتابتها، وغايتهم هي تصوير عالمهم الخاص، وتبرير آرائهم الشخصية أو مذاهبهم ومبادئهم الخاصة، أو توضيح سلوكهم وأحكامهم ومواقفهم، وهم يملكون في الذود عن أنفسهم سُبلا من التفسير والتعليل والتحليل للمواقف والوقائع والأحداث، مظهرين في غالب الأحيان ألوانا من الصراع الروحي والفكري والنفسي.

وقد تمثل هذا الأمر في "مذكراتي في نصف قرن" لأحمد

---

١) العقاد(١٣٠٦ – ١٣٨٣ هـ = ١٨٨٩ – ١٩٦٤م) عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد: إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابة وتصنيفا مع الإبداع. تعلم الانكليزية في صباه وأجادها ثم ألم بالألمانية والفرنسية وظل اسمه لامعا مدة نصف قرن أخرج في خلالها من تصنيفه ٨٣ كتابا، في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع، منها كتاب (عن الله) و (عبقرية محمد) و (عبقرية خالد) و (عبقرية عمر) و (عبقرية علي) و (عبقرية الصديق) و (رجعة أبي العلاء) و (الفصول) و (مراجعات في الأدب والفنون) . الأعلام، ٣ / ٢٦٦.

٢) عبد الرحمن شكري (١٣٠٤ – ١٣٧٨ هـ = ١٨٨٦ – ١٩٥٨م) عبد الرحمن بن محمد شكري عياد: شاعر مصري، من أدباء الكتاب، مغربي الأصل. كان من دعاة التجديد في الأدب، مع المحافظة على صحة الأسلوب وقوة التعبير. ونشر سبع (دواوين) من نظمه في رسائل صغيرة، ثم جمع ما تفرق من شعره في (ديوان) ٧٠٠ صفحة كبيرة. وله كتب نثرية، منها (الاعترافات) و(الثمرات) و(الصحائف) وقصة (الحلاق المجنون) و (نظرات في النفس والحياة) . الأعلام، ٣ / ٣٣٥ .

٣) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص ٨٤ وما بعدها باختصار وتصرف.

شفيق [١]، الذي تناول فيها حياته ونشأته، وصور الحياة الاجتماعية والسياسية في الفترة التي تبدأ من عام ١٨٨٧م حتى عام ١٩٢٣م.

وإلى هذا النوع الذي يصور العالم السياسي للمترجم ذاته تنتمي كل من "قصة حياتي" لأحمد لطفي السيد [٢]، و "هذه حياتي" لعبد العزيز فهمي [٣] وغيرهم "[٤].

(٣) الترجمة الذاتية الروائية

الترجمة الذاتية الروائية من أهم وأشهر التراجم الشخصية في العصر الحديث، "وهي في مجموعها تحمل كذلك التيارات الأدبية والفكرية والسياسية التي كانت تتردد أصداؤها في مصر والعالم العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبدأت تفرض نفسها مع التيارات الجديدة الواقعة في مطلع القرن العشرين.

---

١) أحمد شفيق باشا (١٢٧٦ – ١٣٥٩ هـ = ١٨٦٠ – ١٩٤٠ م)، أحمد شفيق بن حسن موسى: مؤرخ مصري. من أهل القاهرة. تخرج بمدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس وعين وكيلا للجامعة المصرية الأهلية. وولي رئاسة الديوان الخديوي في عهد عباس حلمي. واشترك بعد الحرب العالمية الأولى في معالجة القضايا الشرقية والعربية السياسية. من كتبه (حوليات مصر السياسية)، و (مذكراتي في نصف قرن) و (أعمالي بعد مذكراتي). الأعلام ، ١ / ١٣٥.

٢) أحمد لطفي السيد (١٢٨٨ – ١٣٨٢ هـ = ١٨٧٠ – ١٩٦٣م)، أحمد لطفي بن السيد أبي علي: رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة. وينعت بأستاذ الجيل. شارك في تأليف حزب (الأمة) سنة ١٩٠٨م فكان أمينه، وحرر صحيفته (الجريدة) يومية إلى سنة ١٩١٤م، وعين مديرا لدار الكتب المصرية فمديرا للجامعة عدة مرات، ثم وزيرا للمعارف، والداخلية والخارجية (١٩٤٦) فعضوا بمجلس الشيوخ ١٩٤٩م . الأعلام، ١ / ١٩٩ .

٣) عبد العزيز فهمي (١٢٨٧ – ١٣٧٠ هـ = ١٨٧٠ – ١٩٥١ م)، عبد العزيز فهمي "باشا"، من رجال القضاء بمصر. احترف المحاماة. وجعل من أعضاء الجمعية التشريعية، ثم وزيرا للحقانية سنة ١٩٢٥م فرئيسا لمحكمة الاستئناف الأهلية، فرئيسا لمحكمة النقض. وهو أحد مؤسسي الوفد المصري (سنة ١٩١٨م) . الأعلام، ٤ / ٢٤ .

٤) الترجمة الذاتية، ص ٩٣ وما بعدها باختصار.

ويمثل هذه الترجمة كل من: توفيق الحكيم في كتابه "عودة الروح"، وطه حسين [١] في كتابه "الأيام" " [٢].

(٤)الترجمة الذاتية المُصَوِّرة للعالَمِ الخاص للمترجم

"وهذا النوع ينقل العالم الخاص لكاتب الترجمة الذاتية، سواء أكان عالماً فنياً أم عالماً أدبياً أم عالماً علمياً، أو تنقل لنا عالمه الذي يشتمل على الجوانب التي تمثل حياته؛ من حيث ملابسات الحياة ووقائعها، وتسجيل الخواطر والأفكار، إزاء ألوان التجارب والأحداث التي يخوضها.

ومن أمثلة هذا النوع: "الرحلة الحجازية " للمازني [٣]، و "في منزل الوحي "لهيكل [٤]، و "رحلة الربيع والصيف" لطه حسين [٥].

وإذ أحاول – من خلال هذه الدراسة – توظيف هذا الفن في الدعوة

---

١) طه حسين (١٣٠٧ ؟ – ١٣٩٣ هـ = ١٨٨٩ – ١٩٧٣ م) ، طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين. جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي، كان عميدا لكلية الآداب بجامعة القاهرة، ووزيرا للمعارف، له مؤلفات عديدة، منها (في الأدب الجاهلي) و (في الشعر الجاهلي) و (حديث الأربعاء) و (قادة الفكر) و (على هامش السيرة) و (مع أبي العلاء في سجنه) و (مع المتنبي) جزآن و (أحاديث) و (الأيام). الأعلام ، ٣ / ٢٣٠ ، ٢٣١ .

٢) نفس المصدر، ص ٩٩ وما بعدها باختصار.

٣) إبراهيم عبد القادر المازني (١٣٠٨ – ١٣٦٨ هـ = ١٨٩٠ – ١٩٤٩ م)، أديب مجدد، من كبار الكتاب. وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. وله كتب، منها (حصاد الهشيم)، و (إبراهيم الكاتب)، و (قبض الريح) و (صندوق الدنيا) و (ديوان شعر)، و (رحلة الحجاز) و (بشار بن برد). الأعلام، ١ / ٧١ ، ٧٢ .

٤) الدكتور هيكل (١٣٠٥ – ١٣٧٦ هـ = ١٨٨٨ – ١٩٥٦ م) محمد حسين هيكل، كاتب صحفي، مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة، بمصر. درس القانون المدني في الجامعة المصرية القديمة. وكان من أركان الحزب الدستوري المناوئ لسعد زغلول وحزبه. وولي وزارة المعارف مرتين، ثم رئاسة مجلس الشيوخ (١٩٤٥ – ٥٠) وصنف كتبا، طبع منها (حياة محمد) و (في منزل الوحي) و (ثورة الأدب) و (الصديق أبو بكر) و (الفاروق عمر) . الأعلام، ٦ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

٥) الترجمة الذاتية، ص ١٠٢ وما بعدها باختصار.

الإسلامية، والاستفادة منه في العصر الحاضر، فإنني أطلب من الداعية أن يتناول كل هذه الأنواع في ترجمته الشخصية، وذلك بالاهتمام بذكر النواحي الفكرية والسياسية والخاصة في حياته وفي حياة المجتمع الذي كان يعيش فيه وموقفه منها، ويحرص على أن يكتب ذلك بأسلوب أدبي رفيع، مع مراعاة صبغها بالصبغة الدعوية.

رابعاً: المؤلفات العلمية في هذا الفن

اهتم العلماء في العصر الحديث بالكتابة حول فن الترجمة الشخصية والتأصيل له، وذلك لأهميته التاريخية والمستقبلية، ومن ثم أفردوا له مؤلفات عديدة؛ تتحدث عنه من حيث: التعريف به، وتاريخه، وضوابطه، وملامحه، ونماذج له، ومن بين هذه المؤلفات ما يلي:

(١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.

(٢) الترجمة الشخصية، د شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة – ط الرابعة، بدون.

(٣) ما صنف علماء العرب في أحوال أنفسهم، للمستشرق الألماني الأستاذ بروكلمان، وهو البحث الأول من كتاب "المنتقى من دراسات المستشرقين، د صلاح الدين المنجد، الجزء الأول ص ٣، دار الكتاب الجديد – بيروت – بدون.

(٤) العلماء الذين ترجموا لأنفسهم "السيرة الذاتية"، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص ٢٣، وزارة الإعلام السعودية، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

(٥) السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي) فيليب لوجون، ص ٢٢، ترجمة عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بدون.

(٦) فن السيرة، إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت – ط الثانية.

ومن بين هذه المؤلفات استفدت فكرة الدراسة؛ حيث إنه لم يقع نظري – حسب علمي – على بحث يوظف هذا الفن في تخصص الدعوة الإسلامية والاستفادة منه؛ برغم حاجة الدعوة الماسة إليه.

خامساً: دوافع الترجمة الشخصية

هناك عدة دوافع قد تدفع الشخص للترجمة الذاتية، ومن بينها ما يلي:

(١) التبرير

ويُقصد به: محاولة المترجم الدفاع عن النفس في موقف من المواقف، أو الاعتذار عن حادث معين، ومن بين هذه المؤلفات التي ترجمت بهذا الدافع: "ترجمة السموأل بن يحيى المغربي [١]، وترجمة الطبيب المصري علي بن رضوان [٢]، والتبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة للأمير عبد الله بن بلقين [٣] وغيرهم"[٤].

(٢) الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة

" كأن يصل إلى مذهب خاص أو سلوك بعينه، ومن أصدق الأمثلة لهذا اللون الذي يصور الموقف الشخصي الذي اهتدى إليه صاحبه بعد طول

---

١) السموأل المغربي (٠٠٠ – ٥٧٠ ه) (٠٠٠ – ١١٧٤ م) السموأل بن يحيى عباس المغربي (أبو نصر) طبيب، رياضي، مشارك في بعض العلوم. أصله من بلاد المغرب، وكان يهوديا فأسلم، وسكن مدة في بغداد، ثم انتقل إلى بلاد العجم ولم يزل بها إلى آخر عمره، وتوفي بمراغة قريبا من سنة ٥٧٠ هـ، له من التصانيف: المفيد الأوسط في الطب، إعجاز المهندسين، بذل المجهود في افحام اليهود. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٤ / ٢٨١ ، مؤسسة الرسالة، بدون .

٢) علي بن رضوان (٠٠٠ – ٤٥٣ هـ = ٠٠٠ – ١٠٦١ م)، علي بن رضوان بن علي بن جعفر، أبو الحسن: طبيب، رياضي، من العلماء. من أهل مصر. كان أبوه فرانا. وارتقى هو بعلمه، فاتصل بالحاكم، فجعله رأسا للأطباء. قال ابن تغري بردي: هو من كبار الفلاسفة في الإسلام له تصانيف كثيرة، فيها المترجم والموضوع، منها " حل شكوك الرازي على كتب جالينوس " و "المستعمل من المنطق في العلوم والصنائع" و "التوسط بين أرسطو وخصومه" و " كفاية الطبيب". يراجع: سير أعلام النبلاء، ٣٥ / ٩٠ ، الأعلام، ٤ / ٢٨٩ .

٣) عَبْد اللَّه بْن بلقين بْن باديس، أمير غرناطة في عهد يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين. يراجع: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ١٠ / ٨٣٢ ، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ٢٠٠٣م .

٤) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص ٣٣، ويراجع: فن السيرة، ص ١٠٨ .

بحث وتحرٍّ، ما كتبه عن نفسه كل من: محمد بن زكريا الرازي [١] في "السيرة الفلسفية"، والحارث المحاسبي [٢] في كتابه "النصائح الدينية"، والغزالي [٣] في "المنقذ من الضلال"[٤].

(٣)التخفف من ثورة أو انفعال

ويُقصد بهذا الدافع: محاولة المترجم الترويح عن نفسه وإخراج ما فيها من صراع أو ثورة على الأوضاع التي عاشها، "وممن أفصح عن ثورة نفسية على بيئته ومجتمعه، وصور صراعه الهادر، أبو حيان [٥] في

---

١) أبو بكر الرازي (٢٥١ – ٣١٣ هـ = ٨٦٥ – ٩٢٥ م) مُحَمَّدُ بنُ زَكَرِيَّا الرَّازِيُّ الطَّبِيْبُ ، الأُسْتَاذُ، الفَيْلَسُوْفُ، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ زَكَرِيَّا الرَّازِيُّ الطَّبِيْبُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، مِنْ أَذْكِيَاءِ أَهْلِ زَمَانِهِ، لَهُ:كِتَابُ(الحَاوِي)، وَكِتَابُ(الجَامِع)، وَكِتَابُ(الأَعْصَاب)، وكِتَابُ(المَنْصُوْرِيِّ)صَنَّفَهُ لِلْمَلِكِ مَنْصُوْرِ بنِ نُوْحٍ السَّامَانِيِّ. يراجع: سير أعلام النبلاء، ٢٧ / ٤٠٣ ، الأعلام، ٦ / ١٣٠ .

٢) الحارث المحاسبي (٠٠٠ – ٢٤٣ هـ = ٠٠٠ – ٨٥٧ م) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية. كان عالما بالأصول والمعاملات، واعظا مبكيا، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. ولد ونشأ بالبصرة، ومات ببغداد. وهو أستاذ أكثر البغداديين في عصره. من كتبه (آداب النفوس) صغير، و (شرح المعرفة) تصوف، و (المسائل في أعمال القلوب والجوارح)، و (الرعاية لحقوق الله عز وجل) .يراجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ٢ / ٥٧، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت – ط الأولى ١٩٠٠م، الأعلام، ٢ / ١٥٣.

٣) الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ – ١١١١م)، الغَزَّالِيُّ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْخُ، الإِمَامُ، البَحْر، حجَّةُ الإِسْلاَم، أُعجوبَة الزَّمَان، زَيْنُ الدِّين، أَبُو حَامِد مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الطُّوْسِيّ، الشَّافِعِيّ، الغَزَّالِي، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَالذَّكَاءِ المُفرط. من كتبه (إحياء علوم الد ين) أربع مجلدات، و (تهافت الفلاسفة) و (الاقتصاد في الاعتقاد) .يراجع : سير أعلام النبلاء، ٣٧ / ٣٠٢ ، الأعلام، ٧ / ٢٢ .

٤) الترجمة الذاتية، ص ٣٤ .

٥) أَبُو حَيَّانَ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ العَبَّاسِ البَغْدَادِيُّ، الصُّوْفِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الأَدبيَة وَالفلسفيَة، وَيُقَالُ: كَانَ مِنْ أَعيَان الشَّافِعِيَّة. كَانَ أَبُو حَيَّانَ هَذَا كَذَّاباً، قَلِيْلَ الدِّين وَالوَرَعِ عَنِ القَذْفِ وَالمُجَاهرَة بِالبُهْتَان، تَعَرَّضَ لأُمُورٍ جِسَامٍ منَ القدحِ في الشَّريعَةِ وَالقَوْلِ بِالتَّعطيل، وَقَالَ أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ: زَنَادقَةُ الإِسْلاَمِ ثَلاَثَةٌ: ابْنُ الرَّاوَنْدِي، وَأَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيْدِيُّ، وَأَبُو العَلاَءِ المَعَرِيُّ، وَأَشدُّهُم عَلَى الإِسْلاَمِ أَبُو حَيَّانَ . وأَبُو حَيَّانَ لَهُ مُصَنَّفٌ كَبِيْر فِي تَصوُّفِ الحُكَمَاءِ، وَزُهَّاد الفَلاَسِفَة، وَكِتَابٌ سَمَّاهُ(البصَائِرَ وَالذَّخَائِرَ)، وَكِتَاب(الصَّدِيق وَالصَّدَاقَة)مُجَلَّد، وَكِتَاب(المقَابسَات)، وَكِتَاب(مَثَالب الوَزِيْرين) – يَعْنِي ابْنَ العَمِيْد وَابْنَ عَبَّاد – وَغيرُ ذَلِكَ . يراجع: سير أعلام النبلاء، ٣٣ / ١١٠، ١١١ .

"مثالب الوزيرين" وفي رسالته "في الصداقة والصديق"، وفي كتابه "الإمتاع والمؤانسة" رغم أنه لم يترك ترجمة ذاتية مستقلة"[١].

(٤)تصوير الحياة المثالية

"وهي أشبه بنجوى الذات رغم أنها كُتبت لكي يحتذيها الناس والأتباع، وهي تفصح لذلك عن حياة صاحبها وما أُتيح له من خبرات روحية وخلقية وفكرية، ومن أمثلتها ما كتبه عن نفسه كل من: عبد الرحمن بن الجوزي [٢] في كتابه "لفتة الكبد في نصيحة الولد"، و"العلم الصوفي"، وعبد الوهاب الشعراني [٣] في "لطائف المنن" وغيرهما"[٤].

(٥)تصوير الحياة الفكرية

"وهذا نوع يعمد فيه الكاتب إلى تسجيل كل ما أَثّر في تكوينه العقلي وتطوره الفكري، من كتب وأساتذة، ويعرفنا بآثاره العلمية، وقد عُنى الكثيرون من الكُتاب به، منهم البيروني [٥]، والرازي،

---

١) الترجمة الذاتية، ٣٤ .

٢) ابن الجوزي (٥٠٨ – ٥٩٧ هـ = ١١١٤ – ١٢٠١م)، أَبُو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بنُ عَلِيٍّ الشَّيْخُ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، المُفَسِّرُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، مَفْخَرُ العِرَاق، جَمَالُ الدِّيْنِ، القُرَشِيُّ، التَّيْمِيُّ، البَكْرِيُّ، البَغْدَادِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، الوَاعِظُ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. له تصانيف عديدة ، منها : (تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار) ، (تلبيس إبليس) ، (الناسخ والمنسوخ). يراجع: سير أعلام النبلاء، ٤١ / ٣٤٠، الأعلام، ٣ / ٣١٦ .

٣) الشعراني(٨٩٨ – ٩٧٣ هـ = ١٤٩٣ – ١٥٦٥ م) عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني، ويقال الشعراوي) وتوفي في القاهرة. له تصانيف، منها " الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية " و " أدب القضاة " و " لطائف المنن ". الأعلام، ٤ / ١٨٠، ١٨١ .

٤) الترجمة الذاتية، ص ٣٤ .

٥) البيروني (٢٦٢ – ٤٤٠ هـ = ٩٧٣ – ١٠٤٧م) محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على =

والسخاوي [١]، والسيوطي [٢]، وابن طولون الذي أفرد لهذه الغاية كتابه "الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون"[٣].

(٦)الرغبة في استرجاع الذكريات

ومن أمثلة هذا الدافع: "كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ [٤]، الذي قدم لنا فيه تصويراً حياً لشخصية الفارس الجسور، وللفروسية العربية من خلال تصويره لحياته وشخصيته، ومنها كتاب "طوق الحمامة في الألفة

=

فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره. وصنف كتبا كثيرة جدا، متقنة، منها "الآثار الباقية عن القرون الخالية" و "تاريخ الهند". الأعلام، ٥ / ٣١٣ ، ٣١٤ .

١) السخاوي(٨٣١ – ٩٠٢ هـ = ١٤٢٧ – ١٤٩٧ م) محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي: مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب. أصله من سخا (من قرى مصر) ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة. ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنف زهاء مئتي كتاب أشهرها (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع – ط) أثنا عشر جزءا، ترجم نفسه فيه بثلاثين صفحة. وله (شرح ألفية العراقي) في مصطلح الحديث، و (المقاصد الحسنة) في الحديث. الأعلام، ٦ / ١٩٤ .

٢) الجلال السيوطي(٨٤٩ – ٩١١ هـ = ١٤٤٥ – ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. من كتبه (الإتقان في علوم القرآن) و (إسعاف المبطأ في رجال الموطأ) . الأعلام، ٣ / ٣٠٠ ، ٣٠١ .

٣) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص ٣٥ .

٤) ابن منقذ (٤٨٨ – ٥٨٤ هـ = ١٠٩٥ – ١١٨٨ م) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، أبو المظفر، مؤيد الدولة: أمير، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (بقرب حماة) ومن العلماء الشجعان. له تصانيف في الأدب والتاريخ، منها (لباب الآداب) و (البديع في نقد الشعر) ولد في شيزر، وسكن دمشق، وانتقل إلى مصر (سنة ٥٤٠ هـ وقاد عدة حملات على الصليبيين في فلسطين، وعاد إلى دمشق. ثم برحها إلى حصن كيفي فأقام إلى أن ملك السلطان صلاح الدين دمشق، فدعاه السلطان إليه، فأجابه وقد تجاوز الثمانين، فمات في دمشق. وكان مقربا من الملوك والسلاطين. وله (ديوان شعر) وكتب سيرته في جزء سماه (الاعتبار) ترجم إلى الفرنسية والألمانية. يراجع: الأعلام، ١ / ٢٩١ ، سير أعلام النبلاء ، ٤١ / ١٥٠ .

والإلاف" لابن حزم [1]، الذي يجري فيه مجرى الاعتراف حين يبوح بذكريات شبابه العاطفية، ومنها كتاب "النكت العصرية" لعمارة اليمني [2]، الذي يتحدث فيه عن ذكرياته مع الوزراء والكبراء في أواخر العهد الفاطمي"[3].

ومما سبق يتضح لنا أن دوافع الترجمة الشخصية متعددة ومتنوعة، وقد أسهمت هذه الدوافع بجموعها في ظهور هذا الفن والاهتمام به.

وبالحديث عن دوافع الترجمة الشخصية ينتهي هذا المبحث، وسأنتقل في المبحث اللاحق – بمشيئة الله تعالى – للحديث عن بعض النماذج من الدعاة الذين ترجموا لأنفسهم.

---

١) ابن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ – ١٠٦٤ م) الإِمَامُ الأَوْحَدُ، البَحْرُ، ذُو الفُنُوْنِ وَالمعَارِفِ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ سَعِيْدِ بنِ حَزْمٍ ، الفَقِيْهُ الحَافِظُ، المُتَكَلِّمُ، الأَدِيْبُ، الوَزِيْرُ، الظَّاهِرِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، نشَأَ فِي تَنَعُّمٍ وَرفَاهِيَّة، وَرُزِقَ ذكَاء مُفرطاً، وَذِهْناً سيَّالاً، وَكُتُباً نَفِيْسَةً كَثِيْرَةً، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ كُبَرَاء أَهْل قُرْطُبَة؛ عَمل الوزَارَةَ فِي الدَّوْلَة العَامِرِيَّة، من أشهر مصنفاته "الفصل في الملل والاهواء والنحل" وله "المحلى" ، و "جمهرة الأنساب" و "الناسخ والمنسوخ". يراجع: سير أعلام النبلاء، ٣٥ / ١٦٦ ، الأعلام ، ٤ / ٢٥٤ .

٢) العَلاَّمَةُ، أَبُو مُحَمَّدٍ عُمَارَةُ بنُ عَلِيِّ بنِ زَيْدَانَ الحَكَمِيُّ، المَذْحِجِيُّ، اليَمَنِيُّ، الشَّافِعِيُّ، الفَرَضِيُّ، الشَّاعِرُ، وُلِدَ: سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَخَمْسِ مائَةٍ. قَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: كَانَ شَدِيد التعصب لِلسُّنَّةِ، أَدِيْباً مَاهراً، رَائِجاً فِي الدَّوْلَة، ثُمَّ تَملك صَلاَح الدِّيْنِ، فَامْتَدَحه، ثُمَّ إِنَّهُ شرع فِي اتِّفَاقٍ مَعَ رُؤسَاء فِي إِعَادَة دَوْلَة العُبيديين، فَنُقل أَمرُهُم إِلَى صَلاَح الدِّيْنِ، فَشنقَ عُمَارَة فِي ثَمَانِيَةٍ، فِي رَمَضَانَ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ. له تصانيف، منها "أرض اليمن وتاريخها" و "النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية" وفيه كثير من أخباره، تحدث بها عن نفسه، وقصائد ومختارات أوردها من شعره ونثره. يراجع: سير أعلام النبلاء، ٤٠ / ١١٧ وما بعدها، الأعلام، ٥ / ٣٧ .

٣) الترجمة الذاتية، ص ٣٥ .

المبحث الثالث: نماذجُ من الدعاة الذين ترجموا لأنفسهم

أنعم الله سبحانه وتعالى على الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ببعض الدعاة الذين أدركوا أهمية هذا الفن، ولاحظوا قيمة آثاره الإيجابية، ومن ثم ترجموا لأنفسهم، وسجلوا تجاربهم، وصوروا واقعهم، وكانت لتراجمهم أهداف متعددة، منها: تقويم الذات، وإفادة المسلمين والدعاة والمصلحين، وغدت هذه الترجمات ذا قيمة كبيرة في الميدان الدعوي.

ومن ثم فقد كان من الضروري – في هذه الدراسة – أن أذكر بعضاً من هذه النماذج، وقبل الخوض في ذكر بعضهم يَحسنُ بي أن أذكر بعض المعايير العلمية التي اعتمدت عليها في اختيار هذه النماذج، والتي منها:

(١) **الوسطية؛** قمت بذكر الدعاة الذين وافق منهجهم العقدي والفكري والدعوي منهج الوسطية في الإسلام، وقد أكدوا على هذا المنهج في كتاباتهم وفكرهم، وتمثلوه واقعاً في دعوتهم.

(٢) **التجرد؛** حرصت في هذه الدراسة على ذكر الدعاة المتجردين للحق، وأصبح التجرد من شيمهم وصفاتهم، ومن ثم كان لهم دور كبير في النهوض بالدعوة الإسلامية في العصر الحديث.

(٣) **القبول العام؛** وأقصد بذلك أن لهؤلاء الدعاة قبولاً عند المسلمين عامة وعند الدعاة خاصة، وقد تلقى المسلمون دعوتهم وفكرهم بالقبول والرضى.

(٤) **العالمية؛** حيث قمت باختيار هذه النماذج من بلاد إسلامية وعربية متعددة.

(٥) **القيمة العلمية الحقيقية؛** قمت بذكر الدعاة الذين تميزت تراجمهم الشخصية بالقيمة العلمية والدعوية الثرية.

النماذج الدعوية:

أولاً: الإمام الأكبر الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله (شيخ الأزهر)

يُعتبر الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله من كبار علماء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، بل كان شيخاً للإسلام والمسلمين في عصره وزمانه، وكان يقظةً في غفوة الشرق الإسلامي، وهبَّةً في غفلة المسلمين، وحياةً في وسط محيط هامد، ومن ثم كانت للشيخ مكانة كبرى عند المسلمين عامة والدعاة خاصة؛ لِما عُرف عنه من صلاح وتقوى وورع، ولما اشتهر به بين الناس من صدعٍ بالحق وإنكارٍ على الباطل، دون خوف أو تردد، ومن ثم تلقى المسلمون دعوته وفكره ومنهجه الوسطي بالرضى والقبول.

وقد اهتم الشيخ رحمه الله بالتأليف والبحث والنشر، وقد عُرف عنه أسلوبه البليغ السهل الرفيع، وقد كان من بين هذه المؤلفات التي كتبها وسجلها: كتابه "الحمد لله هذه حياتي"، والذي حرص الشيخ – رحمه الله تعالى – فيه على أن يترجم لنفسه بكل صدق وصراحة وتواضع، وقد اعتبر هذه الترجمة من قبيل الشكر لله تعالى والاعتراف بفضله عليه، إذ قال رحمه الله: "أليس من شكر الله تعالى – على ما أنعم – أن أعترف في كتابٍ بفضله ونعمه ؟ وأن أُضمِّن هذا الكتاب خلاصة ما هداني الله تعالى إليه، من آراء بثثتها في مختلف الكتب، والمقالات والمحاضرات ؟ "[1].

وقد أكد – أيضا – في مقدمةِ هذه الترجمة على أهمية الترجمة الشخصية بشكل عام، وضرورة إفادة الأجيال اللاحقة منها إفادة حقيقة،

---

١) الحمد لله هذه حياتي، الإمام الأكبر الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، ص ٧ ، دار المعارف – القاهرة – ط الثالثة، بدون.

حيث قال: "إن تاريخ كل إنسان ملئ بالفوائد، قد تكون حوادث حدثت، أو آراء قيلت، إنها ماديات ومعنويات، وهي أشكال تمر، وظواهر لها وزنها، وهي تجارب وملاحظات قد يَفيد منها الآخرون، أو يُروِّحون على أنفسهم بقراءتها، ويمضون أوقاتهم في تسلية لا تكون مضيعة للوقت"(١).

وقد حرص الشيخ رحمه الله في هذه الترجمة، على ذكر أيام الطفولة، والتعليم، والبيئة التي تربى فيها بكل تواضع وصدق، وتأثير الأزهر بوسطيته وأساتذته الكبار في عقله وفكره ووجدانه، ثم بعد ذلك ذهابه إلى فرنسا، وموقفه من الحضارة الغربية، ومشاهداته هناك، وموقفه من التصوف والصوفية، وأثر الإمام المحاسبي في تربيته الروحية، وغير ذلك من الأحداث والمواقف التي سجلها، وعرض لها بالنقد والصراحة.

ولا شك أن الدعاة إلى الله تعالى قد أفادوا من هذه الترجمة إفادة حقيقة، أبرزها: التعرف على حياة داعية كبير ومخلص للدعوة، وما قد مر به من تجارب وأحداث ومواقف، وكيف أثرت في تكوينه العقلي والدعوي، ثم التعرف على طبيعة المرحلة الدعوية في عصره ومكانه، والعقبات التي تعرض لها وكيف تغلب عليها، وتاريخ مسيرة الأزهر والأزهريين في العصر الحديث، وموقفه من القضايا المعاصرة والمستحدثة واستدعائها والاستشهاد بها في الوقت المناسب، وموقفه من الأفكار الغربية والدخيلة على الإسلام والمسلمين وكيفية مواجهتها، وكذلك الأفكار والتيارات المناهضة للدعوة في العصر الحديث، والاطلاع على جزء حقيقي وكبير من تاريخ الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.

---

١) الحمد لله هذه حياتي، ص ٧ .

ثانياً: الشيخ أبو الحسن علي الحسني النَدْوي رحمه الله (داعية الهند)

كان الشيخ الندوي رحمه الله من الدعاة المجددين في العصر الحديث، الذين أوقفوا حياتهم وأموالهم وكل إمكاناتهم في خدمة الدعوة الإسلامية، فقد كان له إسهام كبير في الدعوة إلى الله تعالى، وقد تعددت هذه الإسهامات من حيث: التأليف والنشر، والرد على الشبهات المثارة حول الدعوة، واستشراف مستقبلها، والتنظير والتأصيل والتقعيد لها، ومناقشة المخالفين لها بالحجج والبراهين، وقد كان له – أيضاً – باع كبير في الخطابة والوعظ والإرشاد، حيث طاف بلداناً كثيرة محاضراً وموجهاً وواعظاً، وقد عُرف عنه أسلوبه الدعوي الأدبي البلاغي الرفيع، وإحاطته الشاملة بالتاريخ الإسلامي وذاكرة الأمة.

وقد حرص الشيخ رحمه الله تعالى على كتابة مذكراته وترجمته الشخصية، والتجارب التي مر بها، ومشاهداته، ومواقفه تجاه قضايا الأمة الإسلامية، السياسية، والدعوية، والاقتصادية، والاجتماعية، وبيان طبيعة المرحلة الدعوية التي كانت تمر بها الدعوة الإسلامية في بلاد العالم الإسلامي وقتذاك، وغير ذلك مما يحرص مؤلف الترجمة الشخصية على تسجيله وكتابته.

وقد جمع هذه المذكرات والتجارب والمشاهدات في أكثر من كتاب، منها: كتاب "مذكرات سائح في الشرق العربي"، الذي حرص فيه على كتابة مذكراته ومشاهداته في الشرق العربي، وأوضاع الدعوة الإسلامية فيه، ورواد الفكر والثقافة فيه، وحركات الدعوة ومسيرتها في العصر الحديث، وغير ذلك من الأمور التي أفادت منها الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر بشكل حقيقي وكبير.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله في مقدمة كتابه "مذكرات سائح في الشرق العربي" : "خرج مؤلف هذا الكتاب في مفتتح سنة ١٩٥١م، في رحلة إلى عواصم الشرق العربي، وليدرس وضع

هذه الأقطار الديني والعلمي، والاجتماعي، ويتعرف برجالاتها، وقادة الفكر فيها ويتذاكر معهم في الشؤون الدينية والعلمية، والقضايا الإسلامية، والمناهج الإصلاحية، والمشاريع التعليمية، ويعرفهم ببلاده (شبه القارة الهندية) التي أُسدلت عليها حجب كثيفة، وأثير حولها نقع كثير، وعاشت في عزلة عن العالم العربي منذ فترة طويلة، ويخبرهم بتجارب الدعوة والإصلاح التي مرت بها الهند الإسلامية في عهدها الأخير، وقد كُتب لها نجاح كبير، ويستفيد بما جَدّ في العالم العربي من آراء ونظريات، ونشأ من حركات ودعوات، ونبغ من رجال وشخصيات، وقام من مدارس فكرية ومؤسسات، وظهر من أساليب، وثار من مشاكل.

وقد التزم في هذه الرحلة كلها أن يسجل كل حديث، وكل انطباع في يومه غالبا، وفي أقرب وقت إذا فاته التسجيل في اليوم، وأن يتحرى الدقة في النقل، والصحة في الرواية، وتسجيل الحديث في لفظ المتحدث ولغته بقدر الإمكان، فجاءت في الكتاب صور من الأساليب والآداب المحلية، يستفيد بها مؤرخ الأدب فيما بعد ويتمثل القارئ لهذا الكتاب بعد أن مضى عليه زمن شخصية المتحدث، وسماته الحقيقية، ويتمثل البيئة التي دونت فيها هذه المذكرات، وما كان يجيش فيها من صراع نفسي، واصطراع فكري، واضطراب اجتماعي، وقلق وتذمر، وثورة، وما كان يتمخض به هذا المجتمع من حوادث لم تقع، وشخصيات لم تولد، ومن تطورات لم تتضح، فجاءت في هذه الفترة المذكرات مجموع صور ناطقة يستطيع القارئ أن يعيش في هذه الفترة التي لا تعود أبداً.

وكذلك التزم أن يبدي آراءه وملاحظاته، وانطباعاته على أثر مقابلة، أو زيارة، أو حديث أو مشهد، وما أحدثه الحادث من رد فعل، أو أثر نفسي، ويسجل كل ذلك في أسلوب صريح مكشوف، بعيد عن غموض وتحفظ، وعن كل مجاملة وتكلف، فهو وصف وتصوير من

إنسان حي، يحمل القلب والعاطفة، والعقيدة، ويؤمن بمبادئ وقيم، ومُثُل، ويحب هذه البلاد التي يزورها ويرتبط بماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، ويعتبر نفسه عضواً من أعضاء هذه البلاد، يشاركها في آلامها وآمالها، ويشاطرها في شقائها وسعادتها، ويرى الدين الإسلامي الذي أكرم الله به هذه البلاد، واختارها لتمثيله ونشره في العالم، المقياس في كل شيء، فيقيس به الأعمال والأخلاق، والرجال.

[ومن ثم فهذا] الكتاب يُعد وثيقة تاريخية كبيرة، والوثائق التاريخية لا تفقد قيمتها وأهميتها مهما تقدم زمانها، بل كلما تقدم الزمان، وبَعُدَ هذا العصر الذي دونت فيه هذه المذكرات ازدادت قيمة هذه المعلومات، والانطباعات التي جاءت في صفحاتها، فيرى فيها القارئ ملامح وقسمات وجوه، لا يحدها كتاب تاريخ، ويقرأ فيها اعترافات وتصريحات لقادة فكرة، وزعماء إصلاح، وأئمة علم، وأمراء بيان، قد دوى أسماؤهم في الآفاق، لا يجدها حتى في مؤلفاتهم ومذاكراتهم، وقد يجد فيها الباحث بعد قرون حلقة مفقودة تكمل بحثه، وتملأ الفراغ الهائل فيه، قد يئس منها، ويستفيد بها المؤرخ ما لا يستفيد بآلاف من الصفحات من كتب التراجم، وأوراق الجرائد والمجلات، والأحاديث والمقابلات التي اعتادت الصحف أن تنشرها"[1].

وقد أفرد الشيخ الندوي رحمه الله ترجمة حياته بشكل كامل في كتاب أسماه "في مسيرة الحياة"، وقد أكد في مقدمة هذا الكتاب على ما أكد عليه الشيخ الإمام الأكبر عبد الحليم محمود رحمه الله؛ من حيث الاعتراف بفضل الله تعالى وشكره، وإفادة الأجيال اللاحقة من تجاربه ومشاهداته.

---

١) مذكرات سائح في الشرق العربي، ص ٥ وما بعدها باختصار.

يقول الشيخ الندوي رحمه الله: "وظهر أمامي جانبان مهمان من جوانب الخير والنفع فيه [أي في كتابة مُؤلَفٍ عن حياته]:

١- إنه باستعادة ذكريات حياتي وأحداثها، والتأمل في صنع الله تعالى بعبده الضعيف، أتذكر قول الله تعالى، فأرى تفسيره في حياتي، وهو قوله تعالى: **[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]** {فصِّلت:٥٣}.

إن ما شاهدت في حياتي – رغم صغر نفسي وضآلتها، ورغم البيئة المحدودة والأوضاع النابية والوسائل القليلة الضئيلة – من رحمة الله تعالى، وقدرته المطلقة، وفضله العظيم، وتربيته وكرمه، أكد لديّ تأثير دعاء الوالدين وفوائد تعليم المعلمين المخلصين العطوفين الحريصين على تربية تلاميذهم، واحتضان عباد الله الصالحين، ودعواتهم المجابة أو سرورهم بتحقيق هذا الطالب بعض مطالبهم ورغباتهم، ورأيت بأم عيني نتائج اختيار الغايات الصالحة وأهداف الحياة الصحيحة – التي لا تتيسر إلا بتوفيق الله تعالى –، رغم الضعف وانحراف الصحة، وقلة الهمة وخمود القريحة، ببعض المقرّرات والمبادئ، ومحاولة الارتباط الدائم والصلة الوثيقة بعباد الله المخلصين الصالحين.

قلت في نفسي: إنه لو مرت بالقراء ضمن قصتي المتواضعة هذه الحقائق الجليلة لكانت زادً للعبرة والعِظة، ودافعاً إلى علو الهمة والطموح، وتعليق الرجاء بالله تعالى وحسن الظن به، وإنه لا يتيسر تلقين هذه الحقائق والعظات والعبر في مقال علمي رزين أو خطاب ديني جليل كما يتيسر في قصة ساذجة وحكاية مرسلة عن النفس وأحداثها ووقائعها.

٢- أن هناك كثيراً من المواضيع والأحداث والوقائع والمؤسسات والحركات، والشخصيات والجماعات، وتصوير البيئة والأعراف،

ونظام التربية السائدة في البيوتات، لا يتيسر الحديث عنها إلا في تضاعيف قصة حياتي ومذكرات رحلة عمري.

وقد كان من الدوافع إلى هذا التأليف أنني سوف أجد عن طريقه فرصة طيبة ضمن بيان عقليتي وتفكيري، وتطوراتهما، وتاريخ الإنشاء والكتابة والتأليف في حياتي، وأهم الأحداث والوقائع، والحركات والدعوات في عهدي، لعرض آرائي وأفكاري، ومشاهداتي وانطباعاتي، ودعوتي ومنهجي بصورة مختصرة"[1].

وحرص رحمه الله على ترجمته الشخصية ترجمة وافية في هذا الكتاب، وتسجيل الرحلات والتجارب التي مر بها، وكذلك مشاهداته وانطباعاته ومواقفه في بلاد المسلمين شرقا وغربا، وقد أفادت الدعوة الإسلامية منها إفادة حقيقية.

ثالثاً: الأستاذ الداعية الأديب علي الطنطاوي رحمه الله (داعية الشام)

يُعتبر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله من أشهر الدعاة في العصر الحديث، وقد عُرِفَ عنه وسطيته في الدعوة، وعدم انتمائه لأي جمعية أو هيئة أو حزب [2]، وقد اشتهر بأسلوبه السهل البسيط الذواق في الدعوة إلى الله تعالى، كما أن له إنتاجاً فكرياً وعلمياً غزيراً أسهم به بشكل كبير في خدمة الدعوة إلى الله تعالى، والتأريخ لمسيرتها في العصر الحديث – خاصة بالشام – وكان له باع كبير في الخطابة والوعظ والإرشاد، وقد طاف كثيراً من بلدان المسلمين داعياً إلى الله تعالى، ومدافعاً عن شريعته، مُستنهضاً هِمم المسلمين لنصرة الإسلام وقضاياه.

---

١) في مسيرة الحياة، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ص ٢١ وما بعدها باختصار.

٢) يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: "إن طبعي يأبى على العمل الجماعي، إلا أن أُدعى إلى خطبة أخطبها، أو محاضرة ألقيها، أو رأي أبديه ثم أمضي في سبيلي، وما انتسبت في حياتي إلى حزب أو جمعية أو هيئة". روائع رحلات الشيخ علي الطنطاوي، د حمدي الأدهم، ص ٢٤ ، مفكرون للنشر والتوزيع – الرياض – ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م .

ولم يكن في ذهن الشيخ رحمه الله أن يكتب ترجمته الشخصية، غير أنه قد ألحّ عليه بعض محبيه في ذلك؛ حتى يستفيد منها المسلمون وكذلك أجيال الدعوة اللاحقة، ومن ثم شرع في كتابة الترجمة الشخصية له عن طريق المقالات التي تُنشر في المجلات، قال رحمه الله: "فهذه ذكرياتي، حملتُها طول حياتي وكنت أعدّها أغلى مقتنياتي، لأجد فيها يوماً نفسي وأسترجع أمسي؛ كما يحمل قِربةَ الماء سالكُ المفازة لترد عنه الموت عطشاً، ولكن طال الطريق وانثقبت القِربة، فكلما خطوت خطوة قطرَت منها قطرة، حتى إذا قارب ماؤها النفاد، وثقل عليّ الحِمل، وكَلّ مني الساعد، جاء من يرتق خرقَها، ويحمل عني ثقلها، ويحفظ لي ما بقي فيها من مائها، وكان اسمه زهير الأيوبي.

جاءني يطلب مني أن أدّون ذكرياتي في مجلة "المسلمون"، وكان نشر هذه الذكريات إحدى أمانيّ الكبار في الحياة، ولطالما عزمت عليها ثم شُغلت عنها، وأعلنت عنها لأربط نفسي بها فلا أهرب منها، ثم لم أكتبها، بل أنا لم أشرع بها؛ لأني لا أكتب إلا للمطبعة، لذلك لم أجد عندي شيئا مكتوبا أرجع عند تدوين الذكريات إليه وأعتمد عليه، وما استودعتُ الذاكرة ضعفت الذاكرة عن حفظه وعجزَتْ عن تذكره؛ لذلك أجلت وماطلت وحاولت الهرب من غير إبداء السبب، وهو يحاصرني ويسدَ المهارب عليّ ويمسك بأدبه ولطفه وحسن مدخله، يمسك لساني عن التصريح بالرفض.

ثم اتفقنا على أن أُحَدِّثَ بها واحداً من إخواننا الأدباء وهو يكتبها بقلمه، واخترنا الأخ العالم الأديب إبراهيم سرسيق، فسمع مني ونقل عني، وكتب حلقتين كانتا من براعة الاستهلال لهذا الكتاب، وما قصّر أحسن الله إليه، بل لقد تطوّل وأحسن وأجمل، ولكن لا يَحُكّ جسمك مثلُ ظفرك، فكان من فضله عليّ أن أعاد بعض نشاطي إليّ، فبدأت أكتب.

ولولا زهير الذي اقترح، ولولا إبراهيم الذي نشّط وشجّع لما

كتبتُ"[1].

وبهذا السبب خرجت لنا ذكريات الشيخ الداعية علي الطنطاوي رحمه الله، الذي ضمنها ترجمته الشخصية، وبيئته التي تربى فيها، وتأثيرها فيه، وتأثره بها في دعوته، وانشغاله بالدعوة إلى الله تعالى، ومشاهداته وانطباعاته في الرحلات التي قام بها داعياً إلى الله تعالى.

وقد أفادت الدعوة من هذه الذكريات إفادة حقيقية؛ حيث إنه أطلعنا بأسلوبه الأدبي العذب الذَّواق على وضع الدعوة الإسلامية في عصره وبلده – الشام – كما أنه أطلعنا على مواقفه – كداعية – من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عصره، ورؤية الدعوة في الإصلاح والنهوض بالمسلمين .

كانت هذه بعض النماذج من الدعاة الذين ترجموا لأنفسهم، وقبل نهاية هذا المبحث أودّ أن أؤكد على أن الدعوة الإسلامية قد فقدت فوائد كثيرة عندما امتنع بعض الدعاة عن الترجمة لأنفسهم تورعاً، أو شغلوا عنها، أو لم يهتموا بها، فقد كانت الدعوة – على سبيل المثال – في حاجة شديدة إلى ترجمة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن نفسه، وكتابة خبراته وتجاربه في الدعوة بنفسه، في مؤلف علمي مستقل خاص بالترجمة الذاتية، وكذلك الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى.

وكذلك الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، والدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله، وغير ذلك من الدعاة والعلماء والمصلحين في العصر الحديث.

أما عن ضوابط هذا الفن فهذا ما سيكون موضوعَ المبحث التالي بمشيئة الله تعالى.

---

١) ذكريات علي الطنطاوي، ١ / ١٣ ، ١٤ باختصار.

المبحث الرابع: ضوابط فَنِّ الترجمة الشخصية للداعية

هناك بعض الضوابط الأخلاقية والفنية التي ينبغي على الداعية أن يلتزم بها أثناء كتابة ترجمته الشخصية؛ حتى تكون عملاً علمياً فنياً متميزاً، وقبل الحديث عن هذه الضوابط تجدر الإشارة إلى ضابطٍ إيماني عظيم، ألا وهو الإخلاص لله تعالى في هذا العمل، وأعني بالإخلاص هنا: أن يقصدَ الداعيةُ من خلال ترجمته الشخصية وجهَ الله تعالى، ولا يبتغي بذلك رياءً أو شهرةً أو ثناءً بين الناس، أو مجرد الاحتفاظ بمكانة علمية ودعوية في التاريخ، بل يقصد بترجمته هذه أن تكون – للناس عامة وللدعاة إلى الله تعالى خاصة – زاداً للعبرة، ودافعاً إلى علو الهمة والطموح، وأن يلمس القارئ ذلك من خلال كلماته ومواقفه التي يسجلها.

وليعلم الداعية أن الإخلاص لله عز وجل في هذا العمل سيكتُبُ له القبول، ودوام البقاء، وعموم النفع.

والداعية عندما يلتزم بهذا الضابط الإيماني يحقق قوله تعالى: **[قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ]** {الأنعام:١٦٢}، وقوله تعالى: **[وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ]** {البيِّنة:٥}.

وليحذر الداعيةُ أن يقصدَ بعمله هذا ثناءَ الناس، أو الانتصارَ لنفسه، أو طلب الرياء والشهرة، فإن قصد ذلك سيكون وبالاً عليه يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَوَّلُ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، قَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ،

فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ [1].

وفيما يلي بعض الضوابط الأخلاقية والفنية لفنِّ الترجمة الشخصية للداعية:

أولاً: الضوابط الأخلاقية

(١) الصدق والصراحة

ينبغي على الداعية أن يكون صادقاً في كتابة ترجمته الشخصية، صريحاً فيما يكتب ويَعْرِض؛ حيث لا يليق بالداعية – وهو القدوة الحسنة – أن يَكْذِبَ في حديثه عن نفسه؛ أو يسترسل في الخيال الكاذب؛ لأنه بذلك يُناقض غاية هذا الفن، وقبل ذلك يقع في مخالفة شرعية كبيرة، ولا يجوز له – أيضاً – أن يستخدم التورية والمعاريض في وقت وجوب الصراحة والبيان والإيضاح.

فالمسلم – بشكل عام – مأمور شرعا بالصدق في حديثه وفعله، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ]** {التوبة:١١٩}.

---

١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ك الإمارة، ب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ٣ / ١٥١٣ ، رقم ١٩٠٥ ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"(١).

وإذا كان الصدق في حديث المسلم – بشكل عام – واجب، فهو في حق الداعية آكد، " والداعي المسلم الصادق يظهر أثر صدقه في وجهه وصوته، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتحدث إلى من لا يعرفونه فيقولون: والله ما هو بوجه كذاب ولا صوت كذاب.

ولا شك أن ظهور أثر الصدق في وجه الداعي وصوته يؤثر في المخاطب ويحمله ذلك على قبول قوله واحترامه إلا إذا كان عَمَى القلب قد بلغ منع مبلغاً عظيماً، ومهما يكن من أمر فإن الصدق ضروري للمسلم ولكل داعٍ إلى الله تعالى فإن الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فكيف يمكن أن يكون الداعي كذاباً والكذب يهدي إلى الفجور كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، فكيف يمكن أن يكون الفاجر داعياً إلى الله ؟"(٢).

ومن ثم ينبغي على الداعية أن يحقق هذا الأمر الشرعي، وأن يكون صادقاً في كتابة ترجمته الشخصية، صريحاً في أسلوبه وبيانه، وبذلك تتحقق الغاية المرجوة من هذا الفن في تخصص الدعوة الإسلامية

---

١) صحيح مسلم، ك البر والصلة والآداب، ب قُبح الكذب وحُسن الصدق وفضله، ٤ / ٢٠١٢ ، رقم ٢٦٠٧ .

٢) أصول الدعوة، د / عبد الكريم زيدان، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٩م .

وعلومها، وغير ذلك نحاول عبثاً توظيف هذا الفن واستثماره في خدمة الدعوة الإسلامية.

وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "ومن هنا، فإن الترجمة الذاتية تحقق الغاية المرجوة منها، إذ أنها مراح رحب لكاتبها، يتخفف فيه من ثقل التجارب التي خاض غمارها بنقلها من داخل نفسه إلى خارجها، وهو بهذا يعرض خبراته على الآخرين؛ بغية مشاركتهم له فيها، ويتحدث إليهم عنها في صدق وصراحة، وأمانة وتجرد، مصوراً واقع حياته الملموس الذي شكله الماضي، بما كان يزخر به هذا الماضي من نقائص وعيوب ومآثار، وبما كان يحمله من زلات وحسنات؛ مراعياً فيما ينقله وما يتذكره من ماضيه ألا يلج فيما يلجه كثير من كُتّاب الترجمة الذاتية ، حين يصورون أنفسهم في صورة مُمجدة لها متعاطفة مع ميولها ودوافعها وأفعالها حتى لا تتسرب إليه تلك المآخذ والعيوب التي تؤخذ على المترجمين لذواتهم، بل هو يحاول أن يكون في نظرته إلى نفسه، وفي تفسيره للمواقف والشخصيات، ذا نظرةٍ موضوعيةٍ، وفي معالجته لمواد ترجمته الذاتية بمعزل عن العُجْب النفسي، وإعلاء قدره ومكانته، على حساب الانتقاص من أقدار الآخرين، وبمعزل كذلك عن الميل إلى تصوير الوقائع والشخصيات تصويراً يبعده عن دائرة ذاته وما يعتمل داخلها.

وإذا توافرت للترجمة الذاتية كل هذه الملامح والأسس، وأتيح لصاحبها أن يهتدي إلى أكثرها، فإن ترجمته الذاتية حينئذ تصبح مُتسمةً بالأصالة والقوة والتأثير، مُتسمةً للعناصر التي يبتغيها من وراء عمله"[1].

---

١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ص ١١ ، ١٢ باختصار.

وفي ذلك أيضاً يقول د/ بكر أبو زيد رحمه الله: "فترجمة المرء لنفسه إذاً تعتمد: الصدق وتعتمد الصراحة، والتزام الأمانة، والتثبت.

ولهذا: فإن عليه اتهام نفسه فيما يكتب عنها، فيعيد ويوثق ثم يعيد ويوثق، حتى يكون من أصدق الناس فيما يرويه عن أحواله.

ومن اللطيف ما قاله بعض الكاتبين في هذا الصدد: إن قضية حياتي تتحول إلى الزيف كلما رويتها لنفسي.

فهي إذا التزم فيها ذلك أعطت أصدق الصور عن المترجم في الجوانب التي تحدث عنها، ولمن ترجم لنفسه في ذلك من علماء الإسلام أوفر نصيب"(١).

وقد التزم علماء المسلمين هذا الضابط في ترجماتهم لأنفسهم، وفي ذلك يقول د/ يحيى عبد الدايم: "وقد راعى كثير من هذه الترجمات الذاتية، الصراحة والصدق والتجرد في كثير من النظرات والآراء والتجارب المتصلة بالذات وبالشخصيات، وبعضها صور أصحابها ما عانوه من صراع داخلي وخارجي، تصويراً دافقاً بالحيوية والنمو، يكشف عن مدى ما أصاب شخصية أحدهم من تحول وتغير وتطور"(٢).

(٢) التواضع

التواضع من صفات عباد الله الصالحين ، وينبغي على المؤمن – بله الداعية – أن يتحلى به دائما في قوله وفعله؛ حيث إن الله سبحانه وتعالى أمر به فقال: **[لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ]** {الحجر:٨٨}. وقال تعالى : **[وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ]** {الشعراء:٢١٥}.

---

١) العلماء الذين ترجموا لأنفسهم، ص ٢٣ ، ٢٤ .

٢) الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ص ٣٨ .

وجعله الله عز وجل من صفات المؤمنين، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ]** {المائدة:٥٤}.

والتواضع سبيل للرفعة والعزة في الدنيا والآخرة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ [١].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم – وهو قدوة الدعاة – أشد الناس تواضعاً، فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ: لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ[٢].

"والداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع؛ فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام فكيف يكون عارياً من التواضع، وهو من ركائز أخلاق الإسلام ؟ ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً، هكذا جُبلت طبائع الناس فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليها من قوله شيء بل قد يكون ذلك سبباً

---

١) صحيح مسلم، ك الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، ب اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، ٤ / ٢٠٠١ ، رقم ٢٥٨٨

٢) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ٥ / ٤٠ ، رقم ٣٣١٢ ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الجيل، ط الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م . والحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات. يراجع: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، ٤ ، ١٩ ، رقم ١٤١١ ، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية – بيروت – ط الأولى ١٤٠٣هـ .

إلى كرههم الحق منه ومن غيره، فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيداً وليتق الله ربه ولا يكون سبباً لنفرة الناس من الدعوة إلى الله"[١].

وعلى هذا فينبغي على الداعية أن تحوي ترجمته ضابط التواضع، وأن تكونه غايته الكبرى من هذه الترجمة إفادة الدعوة والدعاة، وألا يكون مقصوده منها تعظيم نفسه بأي وجه من الوجوه، "ذلك أن من طبائع الناس أنهم لا يحبون من يُكثر الحديث عن نفسه ويُكثر الثناء عليها ويُكثر من قول "أنا"، "أنا"، ولهذا فعلى الداعي أن يحذر ذلك وأن لا يدّعي شيئا يدل على تعاليه؛ كأن ينسب إلى نفسه المزيد من العلم أو الفصاحة أو المعرفة، إن على الداعي أن يعرف أن جميع ما عنده هو محض فضل الله عليه، فليتحدث إلى الناس وهو بهذا اليقين وبهذا الشعور، يتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه، فإذا عرف الناس منه ذلك فتحوا له قلوبهم أو على الأقل لم يغلقوها دون كلامه، فيقع فيها من معانيه الطيبة النافعة ما يشاء الله وقوعه"[٢].

وعن ضابط التواضع في فنِّ الترجمة الشخصية يقول د/ إحسان عباس: "وهنا موطن دقيق يحسن التنبه له، وهو أن يكون الكاتب لسيرته الذاتية موضوعياً أيضاً في نظرته لنفسه، بمعنى أن يتجرد من التحيز لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث، ولا ينساق مع غرور النفس وتعلقها بذاتها، وحبها لإعلاء شأنها وتنقصها من أقدار الآخرين، وقَلّ من يحسن هذا النوع من التجرد، وكثير من الناس يحتالون عليه، ليمنحوا ما يكتبونه أصالة وصدقاً، ويقع في أنفس القراء موقعاً حسناً"[٣].

---

١) أصول الدعوة، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

٢) السابق، ص ٣٥٠ .

٣) فن السيرة، ص ١١٠ .

وإذا أراد الداعية أن يتخذ قدوةً للتواضع في هذا الفن فعليه بالشيخ العالم الرباني شيخ الأزهر د/ عبد الحليم محمود رحمه؛ فإنه ترجم لنفسه بكل تواضع وصراحة، فلم تأخذه الأنا لكونه شيخ الإسلام والمسلمين في هذا الوقت، لتعظيم نفسه والإعجاب بها، وعلى سبيل النماذج من ذلك قول الشيخ رحمه الله عن نفسه أنه رسب في الثانوية ودخل الدور الثاني في مادة النحو والصرف، يقول رحمه الله: "واعتكفت في المنزل، أواصل الليل بالنهار في المذاكرة، والاستقصاء، وأديت الامتحان في آخر العام، وترقبت النتيجة، ولم يطل بي الانتظار، فقد أسفرت عن رسوب جميع الطلبة المتقدمين من الخارج رسوباً لا يتيح لهم دخول الدور الثاني، ما عدا طالباً واحداً، فإن له دوراً ثانياً في النحو والصرف اسمه: عبد الحليم محمود، هو أنا، والحمد لله على هذا"(١).

وقال أيضاً – متواضعاً – في مكان آخر: "وإذا جئتُ الآن إلى الذكاء، والعقل، والاتزان، فإني أحسب أنني – في كل ذلك – وسط.

وأشهد أنني لست حادّ الذكاء، فكم رأيت من هم أذكى مني... إنني وإن كنت غير حاد الذكاء، فإني أيضاً لست قوى الذاكرة، ولكنني أقول – في غير فخر – إني لست بليداً، ولقد كان ترتيبي دائماً في الدراسة في أوائل المتوسطين، وهو ترتيب أحمد الله تعالى عليه، وفيما يتعلق بالاتزان، فيكفيني أن أقول: إنني لست "متزمتاً"، وليس بي جمود، وإذا نظرت إذن إلى الناحية الجسمانية والعقلية، فلا يسعني إلا أن أقول: الحمد لله"(٢).

وقد التزم بهذا الضابط الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله، حيث قال عن نفسه: "ولا بأس أن أصارح هنا بأن طفولتي لم تكن مرجوة تعلق

١) الحمد لله هذه حياتي، ص ٨٨ .

٢) الحمد لله هذه حياتي، ص ٢٤ .

عليها في ظاهر الأمر الآمال الكبار، بل كانت طفولة بائسة لا تبعث الآمال ولا تبشر بمستقبل زاهر، بل إن كثيراً من أترابي وأطفال الأسرة كانوا يَفْضُلونني بصفة عامة في الذكاء والشعور، وكانت والدتي – بطبيعة الحال – تحزن لذلك، وكانت كثير من نساء الأسرة ورجالها يعلقون على هذا الوضع بما يهيج حزنها ويزيد من شعورها المرير.

ولكن ذلك جاء بفائدة كبيرة، فقد أفرغت والدتي ما في كنانتها من أدعية وابتهالات لتربيتي وصلاحي وتحصيلي للعلم، وقبولي عند الله وعند الناس، ونجاحي في جميع الأمور، وأصبحت هذه الأدعية الحارة الخالصة وِرْدَها الدائم، وصدر من قلمها ولسانها منثوراً ومنظوماً في هذا الصدد ما يقلّ نظيره في أدعية الأمهات وابتهالاتهن في هذا العهد.

والواقع كما أعتقد أن ما قدر الله من الخير، وما آتاني به من الفضل والزلفى لدى عباد الله الصالحين، وما منحني من عطفهم وأدعيتهم، كل ذلك يرجع إلى تلك الأدعية المضطرة التي كانت تدعو بها والدتي، وصدق الله العظيم **[أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ]** {النمل:٦٢}.

ولما بدأت أشدو وأكتب، نصحتني والدتي وأكدت الأمر بأن أبدأ كل ما أكتب بـــ (بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم آتني بفضلك أفضل ما تُؤتي عبادك الصالحين)، وقد بقي ذلك عادتي وديدني مدة من الزمن، ولا أزال أذكر في مناسبات كثيرة هذه الكلمات الصالحة"[١].

وهذه صراحة تُحمد للشيخين الكبيرين "لِما تشير إليه من روح التواضع والصدق، إذ قلما نصادف من يعترف بقصور في الفهم، أو تخلف في العلم، إذ الغالب على المترجمين لأنفسهم هو روح التفاخر والإدلال

١) في مسيرة الحياة، ١ / ٧٤ ، ٧٥ .

بالميزات المتفوقة لديهم خاصة ميزة التعلم، والمقدرة العالية على الفهم والاستيعاب، منذ صباه، وقد يتمادى بعضهم، فتبدو في كتابته عن نفسه روح التشامخ والكبرياء والاستعلاء"[1].

كذلك أعني بضابط التواضع هنا أيضاً "احترام الآخرين وآرائهم، فلا يؤدي به الأمر إلى الحطّ من آراء الآخرين، أو النيل من شخصياتهم، وإن كان على صواب فيما ينقد أو يعرض.

ولا شك أن الحطّ من آراء الآخرين، أو النيل من شخصياتهم، أو الغرور العلمي مما يشين البحث ويشوهه، ويحطُّ من مكانته وقوته، وينفر القارئ من مطالعته"[2].

(٣) الصدع بالحق

يجب على الداعي إلى الله تعالى أن يصدع بالحق الذي يدين به لله تعالى، وأن يكتب ذلك ويُضَمِّنَه في مذكراته، وألا يخاف في ذلك لومة لائم، وكيف يخاف الداعية، وعلام يخاف وهو يقرأ قوله تعالى: **[وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا]** {هود:٦}، وقوله تعالى: **[وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ]** {آل عمران:١٤٥}.

وبالرغم من ذلك فلا يجوز "أن تحمله جرأته في الحق على أن يكون متهوراً يجرّح في الأشخاص والهيئات، كلا؛ بل يجب أن تكون الجرأة في نطاق الأدب، وغير خارجة عن إطار الإسلام، مثل الاحترام وعدم التجريح، وأن تكون بلباقة خاصة في أوقات كبت الحريات، وخنق

---

١) الترجمة الذاتية، ص ٥٤ .

٢) البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته، د/ عبد العزيز الربيعة ، ١ / ١١٩ ، ١٢٠ ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

الدعاة؛ فهو ينبه على المنكر، وليس بالضرورة ذكر فاعله، ويحذر من الظلم دون تصريح بالظالمين، وهكذا، ولكن إذا اضطر لمواجهة أحد الظلمة والإنكار عليه علانية فلا يتهيب، ولينصحه بأدب الإسلام، خاصة إذا اعتبر العوام سكوته إقراراً لما يحدث"(١).

وهذه الصفة لازمة للداعية وواجبة عليه في كل أحواله من قول أو فعل، وإذا لم ينطق الدعاة بالحق ويجلّوه للناس فمن يفعل ذلك ؟.

وقد تجلّى هذا الضابط واضحاً عند الشيخ الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى؛ فقد صدع بالحق في كتابه آنف الذكر؛ حيث إنه أنكر على المسلمين تخليهم عن الشريعة وتحكيمها، واستبدال قوانين أوربا الوضعية القاصرة بها، وأنكر على كليات الحقوق في مصر اهتمامهم الزائد بتدريس مواد القوانين الوضعية أكثر من اهتمامهم بتدريس مواد الشريعة الإسلامية، وأكد على أن ذلك من الأسباب الرئيسة لتخلف المسلمين(٢).

كما أنه أنكر فكرة تحديد النسل، وأكد أنها ليست من الإسلام، وأن الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح رحمهم الله لم يعرفوها بالمعنى المعاصر، حيث قال رحمه الله: "هل سمعت عن أحدٍ من الصحابة حدد النسل لضيق ذات اليد ؟ أين إذن قول الله تعالى: **[وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا]** {هود:٦}، وأين إذن: **[وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ]** {الذاريات:٢٢}، ثم القسم الإلهي على ذلك **[فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ]** {الذاريات:٢٣}"(٣).

---

١) الخطابة في موكب الدعوة، د/ إسماعيل علي محمد، ص ١٦٧ ، دار الكلمة – المنصورة – ط الثالثة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

٢) الحمد لله هذه حياتي، ص ٦٤ وما بعدها .

٣) السابق، ص ٣٣ .

وقال أيضاً: "تحديد النسل، إنها فكرة منكرة، وهي إذا اتخذت الأساس ضيق ذات اليد، فإنها فكرة تخالف الدين، يحرمها الدين.

وأقولها بالصوت الجهير، وأكتبها بالخط العريض: إنها فكرة ليست في مصلحة مصر.

ويمكن أن نقول مع "الدكتور علي عبد الواحد وافي" عميد علم الاجتماع في مصر: إن مشكلة مصر قلة النسل.

وعلى هذا؛ فإن ما يُنفق على مراكز تنظيم النسل، يجب أن ينفق على شيء نافع، ويجب أن تغلق هذه المراكز. اللهم إني قد بلغت، اللهم فاشهد"[1].

كانت هذه بعض الضوابط الأخلاقية التي ينبغي على الداعية أن يتحلى بها في هذا الفن، حتى تحقق ترجمته الشخصية الثمرة المرجوة منها.

ثانياً: الضوابط الفنية

هناك بعض الضوابط الفنية التي تتعلق بالترجمة الشخصية للداعية، ومنها ما يلي:

(١) البناء المرسوم الواضح

حيث إن "أخص ملامح الترجمة الذاتية أن يكون لها بناء مرسوم واضح، يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات التي مرت به، ويصوغها صياغةً أدبيةً مُحكمةً، بعد أن يُنحي جانباً كثيراً من التفصيلات والدقائق التي استعادتها ذاكرته، وأفادها من رجوعه إلى ما قد يكون لديه من يوميات ووسائل ومدونات تعينه على تمثل الحقيقة الماضية.

---

١) نفس المصدر، ص ٣٦ .

وبمعاونة من العمليات العقلية والشعورية، يصبح في وسعه أن يقتنص كل ما هو هام في إطلاعنا على غايته من كتابة ترجمته الذاتية، وعلى كل ما هو معين على أن نستشف منه التاريخ الحقيقي لحياته النفسية والخلقية والمزاجية والفكرية والسلوكية، وما نستدل منه على شخصيته ومكوناتها الموروثة والمكتسبة في تكامل في جميع أطوار نموها وتغيرها، وفي وِحدة تتوافر لا في التنظيم والترتيب والتركيب فحسب، بل تتوافر كذ لك في الروح العامة للترجمة الذاتية، وفي المزاج السائد فيها، وفي النقلة والتدرج من موقف إلى آخر، مع مراعاة التزام الحقيقة التاريخية فيما ينقله من أحداث ماضية، معززاً إياها بالوضوح المعلن عن أسماء الشخصيات والأماكن، وبفقرات وأمثلة موجزة معتدلة متنوعة من التواريخ والرسائل واليوميات"[١].

(٢) الإفصاح عن الغاية

يقول د يحيى عبد الدايم: "ويحسن أن يكشف المترجم لنفسه عن غايته، فهي التي تحدد أمامه معالم طريقه، وترشده إلى ما يجب أن يُسقط ويهمل، وما يجب أن يُثبت ويختار"[٢].

ويقول في موضع آخر: "إفصاح كاتب الترجمة الذاتية عن غايته، أمر مستحب، لأنها هي التي تحدد أطراف موضوعه وتوجهه، وتعينه على الحذف والإثبات في الإطار الذي يوضح به هدفه، ويرسم عن طريقه صورة لعالمه الخاص، ويختار في ضوئه بنيان ترجمته الذاتية، وقد يطرح فئة من المترجمين لذواتهم الإفصاح عن الغاية اعتماداً على ذكاء القارئ الذي في وسعه أن يستنتجها بعد فراغه من قراءة سيرة كل منهم، وهؤلاء فئة قليلة من المترجمين لذواتهم، وليس من حرج عليهم

١) الترجمة الذاتية، ص ٤ ، ٥ .

٢) السابق، ص ٥ .

في انتهاج هذا السبيل، ما دام الواحد منهم يكتب ترجمة ذاتية بطريقة مباشرة"[1].

وفي ذلك يقول د/ إحسان عباس: "وبين المتحدث عن نفسه وكاتب السيرة الذاتية فرق كبير، فالأول لا يزال كلما أمعن في تيار الحديث يثير شكنا، والثاني يستخرج الثقة الممنوحة له منا، خطوة أثر خطوة؛ ولذلك كان الأول شخصاً عادياً أو أقل من العادي في نفوسنا أما الثاني فشيء مغاير له تماماً، لاعتقادنا أنه لم يكتب سيرته لملء الفراغ فحسب، وإنما كتبها لتحقيق غاية كبيرة؛ أبسطها الغاية التي ذكرها "سبنسر" في سيرته وهي أن يجعل كتبه واضحة لمن يقرؤها؛ أو ليعرف الناس بالكتب التي ألفها والتي يزمع تأليفها، كما فعل ابن الهيثم في سيرته "[2].

وقد رأينا – على سبيل المثال – الشيخ الداعية الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى يحقق هذا الضابط الفني بكل وضوح في ترجمته الشخصية، ومن ثم كان الطريق أمامه واضحاً، ولم تشغله "الأنا" أو طلب الرياء والثناء عن تضمين ترجمته الشخصية النافع فقط الذي يحقق الغاية من وراءها، فلم يستطرد بذكر تفاصيل مملة، أو أحداث طويلة لا فائدة منها، وإنما سجل فقط ما يفي بالغرض ويحقق المقصود.

وقد أكد على ذلك في مقدمة كتابه، حيث قال رحمه الله: "أليس من شكر الله تعالى – على ما أنعم – أن أعترف في كتاب بفضله ونعمه ؟ وأن أُضمَّن هذا الكتاب خلاصة ما هداني الله تعالى إليه ، من آراء بثثتها في مختلف الكتب والمقالات والمحاضرات ؟

إن تاريخ كل إنسان مليء بالفوائد، قد تكون حوادث حدثت، أو آراء قيلت، إنها ماديات ومعنويات، وهي أشكال تمر، وظواهر لها وزنها

---

١) نفس المصدر، ص ١١٧ .

٢) فن السيرة، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

وهي تجارب وملاحظات قد يفيد منها الآخرون، أو يروِّحون على أنفسهم بقراءتها، ويمضون أوقاتهم في تسلية لا تكون مضيعة للوقت "[١].

(٣)سلامة الأسلوب ووضوح العبارة

ينبغي أن يكون أسلوب الداعية في ترجمته الشخصية سهلاً سليماً من الأخطاء النحْوية واللغوية، ويجب أن يكون واضحاً بيناً لا غموض فيه ولا إبهام، مفهوماً عند القارئ؛ لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى من يكلمه الداعي فيجب أن يكون الكلام واضحاً غاية الوضوح، ولهذا أرسل الله رسله بألسنة أقوامهم حتى يفهموا ما يدعونهم إليه ويستطيعون بيانه إليهم، قال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ]** {إبراهيم:٤}. وجعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام التبليغ المبين الواضح لتقوم الحجة على المخاطبين، قال تعالى: **[وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ]** {النور:٥٤}، ومقياس الوضوح ليس نفس الداعي وفهمه فقد يكون الكلام واضحاً بالنسبة له غامضاً بالنسبة إليهم.

وكذلك ليس المقياس وضوح القول بذاته فقد يكون الكلام واضحاً بنفسه ولكنه غير واضح بالنسبة إليهم. فالمقياس إذن هو أن يكون واضحاً عندهم وهذا هو الذي يشير إليه قوله تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ]** {إبراهيم:٤} فالبيان لهم، لا للداعي ولا للكلام بذاته.

---

١) الحمد لله هذه حياتي، ص ٧ .

وفي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاماً فصلاً، أي بيناً ظاهراً يفهمه كل من يسمعه"[1].

وعن هذا الضابط يقول د/ محمد موسى الشريف: " كتابتها بالأسلوب الأدبي المناسب، فإن بعض الأشخاص المتعرضين لكتابة الذكريات لا يرقى أسلوبهم إلى أن يكون جذاباً مشوِّقاً، وقد ينصرف القارئ تماماً عن الكتاب بسبب هذا، لذلك ينبغي الاعتناء بطريقة الكتابة اعتناء مناسباً، وحبذا لو سُوعِد من كان لا يستطيع تسطير ذكرياته على وجه مناسب بشخص يصوغ له الأحداث بأسلوب جيد مناسب"[2].

وقد كان هذا الضابط من أبرز ملامح الترجمة الشخصية عند العلماء قديما، وفي ذلك يقول د/ يحيى عبد الدايم: "وإذا ما تساءلنا عن مدى حظ التراجم الذاتية في تلك العصور من العناصر الفنية التي تقربها من الترجمة الذاتية الحديثة، كان الجواب: أن كثيراً من هذه العناصر الأدبية قد توافرت في بعضها، وأن كثيراً مما كتبه العرب عن أنفسهم، صاغوه في أسلوب واضح، سهل قائم على الإيجاز المحكم، والعبارة العذبة،

---

١) أصول الدعوة، ص ٤٥٣ . ونص الحديث: عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ كَلاَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصْلاً يَفْقَهُهُ كُلُّ أَحَدٍ، لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُهُ سَرْدًا. أحمد في المسند، ٤١ / ٥٢٠ ، رقم ٢٥٠٧٧ . وقد أكد شراح الأحاديث النبوية هذا المعنى في شرح الحديث السابق؛ حيث قال الإمام الصنعاني رحمه الله في شرح قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: كَانَ كَلاَمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصْلاً يَفْقَهُهُ كُلُّ أَحَدٍ، لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُهُ سَرْدًا. أي: "فاصلاً بين الحق والباطل، والأظهر أن المراد [أنه] بَيِّن المعنى، ظاهر الألفاظ، لا يلتبس على أحد؛ بل يفهمه كل من سمعه؛ لظهور حروفه وكلماته وإيضاحه وبيانه". التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، ٨ / ٢٩٣ ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، مكتبة دار السلام، الرياض ، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م .

٢) التوريث الدعوي، ص ٥٣ .

وحسن العرض، وسلاسة السرد القصصي، والقدرة على إعادة الماضي وبعث الحياة والحركة والحرارة في تصوير الأحداث والتجارب والشخصيات"[١].

(٤) التزام الدقة والمناهج العلمية الصحيحة

ينبغي على الداعية – أثناء كتابة ترجمته الشخصية – أن يلتزم الدقة والتنظيم، لابد وأن يكون دقيقاً في عمله هذا، منظماً فيه، شبهه في ذلك شبه المهندس في تنظيم البناء، فينظم خطته، ومنهجه، وحواشيه، وفهارسه، وأسلوبه، وغير ذلك [٢].

وعليه أيضاً أن يلتزم بقواعد المنهج العلمي الصحيح في كتابة ترجمته الشخصية، فلا يجوز له أن يسجل الأحداث التاريخية بشكل غير علمي ومنهجي، وإنما يجب عليه أن يلتزم بقواعد المنهج التاريخي في تسجيل الأحداث وترتيبها وتسلسلها وعرضها [٣].

وعليه أيضا أن يتبع المنهج التحليلي النقدي في حديثه عن ذكرياته، والمواقف التي تعرض لها، والأفكار السائدة في عصره، والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في زمانه، ومدى نجاحه وإخفاقه في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، وأن يذكر لنا الأسباب التي ساعدت على نجاحه أو إخفاقه، وما هي الآثار المترتبة عليها، وكيف واجهها، وقام بعلاجها، والتغلب عليها، حيث إن كل ذلك يمثل المنهج التحليلي والنقدي [٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ "أبو الحسن الندوي" رحمه الله قد التزم

---

١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ص ٣٨ .

٢) البحث العلمي، د/ عبد العزيز الربيعة، ١ / ١١٧ ،

٣) يراجع: أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، ص ٤٩ .

٤) يراجع: أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، ص ٤٩ .

هذا المنهج التحليلي النقدي في ترجمته الشخصية، فنجده – مثلاً – يتحدث عن أوضاع المسلمين في العصر الحديث المتردية، وأسبابها وطرق علاجها، فيقول تحت عنوان "حقيقة مؤلمة أسبابها وطرق معالجتها": "إن هذا الوضع غير الطبيعي، الذي يعيش فيه العالم الإسلامي اليوم له أسباب عديدة، أهمها فيما يلي:

(١) نظام التعليم الغربي، الذي يزعزع ثقة الشباب المسلم، الذين يدرسون في الفصول الدراسية العالية، ويتوقع أنهم يتسلمون زمام الأمور، ويملكون السلطة والنفوذ، ويتولون إدارة البلاد ويشرفون على المؤسسات والمعاهد التعليمية والتربوية، ويقطع صلتهم عن تاريخهم وحضارتهم، فتضعف صلتهم بالله، وتنحلُّ رابطتهم بالدين، ويسود فيها الشك والارتياب، ويصابون بمُركَّب النقص، والبلبلة الفكرية والقلق، وعدم الإجلال للتعاليم الإسلامية.

(٢) لم تُنشأ حركة شعبية منظمة مؤثرة ، ولم تُبذل جهود مدروسة مخططة جدية، لإعادة الثقة إلى الطبقة المثقفة الواعية بصلاحية الإسلام لقيادة الإنسانية، وتوجيه المجتمعات، ومعالجة المشاكل، وحلّ القضايا المعَقّدة في كل عصر وفي كل مكان.

(٣) إن الخوف من النهضة الإسلامية، والذعر من المطالبة بتطبيق الشريعة، ونشر تعاليم الدين، والاحتراز عن انتساب الحكومات المكشوف إلى الإسلام فضلا عن الاعتزاز به وإظهاره ، وإحداث النزعة إلى العلمانية، يرجع أساساً إلى مجهودات أمريكا المباشرة وغير المباشرة، فإنها بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وانهيار الشيوعية، استهدفت الإسلام باعتباره الخطر الأكبر، والسد المنيع لسيادتها العالمية، واستخدمت جميع وسائل الإعلام، والتدابير السياسية الرادعة لقمع الاتجاه إليه"[١].

١) في مسيرة الحياة، ٣ / ٢٩٧ وما بعدها باختصار .

كما أنه لا يجوز للداعية أن يُغفل المنهج الوصفي في عمله هذا، بل يجب عليه التزامه؛ وذلك من حيث وصف الحياة والأحداث التي مرت به وصفاً دقيقاً محكماً، ووصف واقعه ودعوته من كل جوانبها ونواحيها.

(٥) الموضوعية

أقصد بالموضوعية هنا: أنه عندما يعمد الداعية إلى كتابة ترجمته الشخصية فإنه يجب عليه أن يكون متجرداً للحق [١]، وموضوعياً، غير متعصب أو متحيزٍ لفكرة معينة أو فئة معينة؛ حتى تكون ترجمته الشخصية نافعة لجميع الدعاة والمسلمين، وأن يكون مُنصفاً في الحديث حول الآراء والأشخاص والهيئات.

والموضوعية كما عرفها العلماء هي: "معيار أساسي من معـــايير البحث، يقوم على الصِّدق والعلـــم والأمانـــة، والبُعـــد عـــن الأهـــواء الشخصية"[٢].

والموضوعية في البحث – على هذا النحو – قد أمر الله تعالى بها في القرآن الكريم، ، قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] {النساء:١٣٥}.** وقال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] {المائدة:٨}.**

---

١) يراجع: فن السيرة، ص ١٠٣ .

٢) الموضوعية في العلوم التربوية، عبدالرحمن بن صالح عبدالله، ص ٦ ، دار المنارة – جدة – ط الأولى ، ١٤٠٧هـ .

وقد أعطى القرآن الكريم للداعية أنموذجاً عملياً من نماذج الموضوعية، وذلك أثناء الحديث عن أهل الكتاب، فلم يحكم عليهم حكماً عاماً، وإنما فصّل القول فيهم، كما أنه أنصف من يستحق الإنصاف منهم، وبين لنا ما لهم وما عليهم، قال تعالى: **[لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ] {آل عمران:١١٣}**، وقال تعالى: **[وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] {آل عمران:٧٥}**.

فالموضوعية إذاً في البحث والتأليف تقتضي التزاماً من الداعية بألا يتجاوز في خلافاته مع الآخرين الحد الموضوعي، وأن يذكر ما لهم وما عليهم.

ومن النماذج العملية الحيّة في هذا الباب موقف الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله عندما تعرض للحديث – في مذكراته – عن الأستاذ أحمد أمين رحمه الله تعالى.

حيث أكد أنه معجب بالأستاذ أحمد آمين إعجاباً شديداً، برغم أنه يخالفه في كثيرٍ من الآراء والأفكار، وهذا يُعد من قبيل الموضوعية والإنصاف عند الداعية.

قال: "ولم أكن قد رأيته من قبل ولكن درست كتبه دراسة عميقة، وأعجبت بأسلوبه في الكتابة العلمية والبحث والتحليل وبحسن ملاحظته في التاريخ واتزان فكره، وذلك ما حملني أن أسأله أن يقدم لكتابي "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، معتقداً أنه من أحق الكُتّاب والأدباء في مصر وأولاهم بكتابة هذه المقدمة لهذا الكتاب ... ولكن لم تُرض هذه المقدمة كثيراً من الأصدقاء، ويعتقدون أنها لم تحسن إلى الكتاب ولم

تخدمه، بل قللت من قيمته، وإني لا أزال على رأيي في الأستاذ أحمد أمين رغم هذه المقدمة [١].

ثم بعد ذلك تعرض الشيخ الندوي لبعض آراء الأستاذ أحمد آمين التي يعارضها ويعتبرها آراءً شاذة، لكن تعرض لها بشيء من الأدب والاحترام والتقدير وحفظ المكانة[٢].

وهكذا تكون الموضوعية في البحث والحديث، ومن ثم يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يلتزموا بهذا الضابط أثناء كتابة مذكراتهم وتراجمهم الشخصية.

(٦)عدم التعجل في كتابة الترجمة الشخصية

ينبغي على الداعية ألا يتعجل في كتابة ترجمته الشخصية، حيث إن "الإسراع إلى كتابة الترجمة الذاتية في سن مبكرة، يفوّت على كاتبها أموراً كثيرةً، فقد يكتبها قبل أن تتضح له نتائج تطور خطير في حياته، وقد يكتبها قبل أن تقف مبادئه في الحياة واضحة جلية لعينه"[٣].

"ويقودنا هذا إلى التساؤل، لنعرف متى يكتب الكاتب سيرته الذاتية، فتعيين هذا قد يساعدنا على فهم الغايات التي تكتب السيرة الذاتية من أجلها.

ونستطيع أن نقول في الجواب على هذا السؤال إن كل سيرة فإنما هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، فإنه لابد أن يكتبها. والناس مهما يطل عليهم الأبد وتختلف أحوالهم هم أحد رجلين: رجل وصل إلى حيث يؤمل وانتصر على الحياة وصعابها، وأحسن التخلص من ورطاتها وشعابها، ورجل كافح حتى جرحته

---

١) مذكرات سائح في الشرق العربي، ص ٢٠ .

٢) يراجع: مذكرات سائح في الشرق العربي، ص ٢١ وما بعدها.

٣) فن السيرة، ص ١٠٩ .

الأشواك وأدركه الإخفاق. وكلا العاملين، أعني الوصول والخيبة، يبلغان بالتجربة حد النضج على شرط واحد: هو اكتمال التصور لأطراف هذه التجربة ورؤيتها عند التطلع إلى الماضي، على أساس من نظرة ذاتية خاصة، ولولا هذا الشرط لكان كل إنسان قادراً على أن يكتب سيرة حياته. وإنك لتستمع إلى أشخاص يقصون عليك قصصاً من أحداث حياتهم، يمتعك سماعها ويبعث فيك شيئاً من النشوة، ولكنهم يعجزون عن أن يكتبوها سيرة كاملة، لأنهم يعجزون عن أن يروا مكانهم من الحياة، ولا يرى الإنسان مكانه بوضوح إلا إذا أصبحت تجاربه ذات وحدة متكاملة، وكانت لديه قاعدة فلسفية يتقابل بها وجهاً لوجه مع حقائق الوجود الأخرى"[1].

"ولعل أفضل الترجمات الذاتية، هي تلك التي كتبها أصحابها في سن متأخرة، بعد اكتمال خبراتهم وتجاربهم، واكتمال نضاجهم العقلي، وبلوغ شخصياتهم قمة التطور...

على أنه ربما تكون كتابة الترجمة الذاتية في فترة الشباب، تحرمنا من الاطلاع على تجارب وخبرات، تفيد في نقل جوانب هامة من مراحل الحياة الخاصة للمترجم لذاته، ومن أطوار شخصيته"[2].

ومن ثم ينبغي للداعية ألا يتعجل في كتابة ترجمته الشخصية؛ حتى لا يُفوّت على الدعاة الإفادة من كل تجاربه وخبراته ومواقفه في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، وعليه أن يسجل الأحداث في زمنها حتى إذا عاد إليها وجدها وحينئذٍ تُسعفه في مهمته.

كما ينبغي عليه "التعجيل بكتابتها قبل الهرم والشيخوخة، فإن المرء الهرم يملُّ ويكلُّ، وينسى كثيراً من الأمور المهمة التي مرّت عليه

١) السابق، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

٢) الترجمة الذاتية، ص ١٥٣ .

في حياته، وقد تسقط من ذاكرته للأبد، فالقيد هنا بالتبكير بالكتابة مهم.

وهناك علاج ناجح لتذكر عدد من الوقائع التي أصبحت طيّ النسيان ألا وهو أن يجتمع مدون ذكرياته بمجموعة تذكره ما نسيه، وتطرح عليه أسئلة مناسبة لتجعله يتذكر ما أغلفه وأهمله، فتسأله عن أشخاص محددين أو قضايا محددة، وهذا مفيد مجرب" [١].

(٧)تصوير الصراع النفسي والشعوري والفكري

يؤكد الباحثون أن من أبرز ملامح الترجمة الشخصية الفنية "تصوير الصراع"، وفي ذلك يقول د/ يحيى عبد الدايم: "ثم من أبرز ملامح الترجمة الذاتية إلى ما ذكرناه "تصوير الصراع" بضروبه المختلفة، تصويراً يطلعنا من خلاله على دخائل نفسه، وأثر أحداث الخارج في حياته النفسية والشعورية والفكرية، مُظهراً من خلاله ما ينعكس على مرآة ذاته من وقائع الماضي وأحداثه خيراً كان أم شراً، مراعياً في عرضها ما يطلعنا على مدى ما حدث في شخصيته من نمو وتحول وتغير على مراحل العمر المتعاقبة، ملتزماً تواتر الأيام وتدرج التاريخ، فإذا أخل بالترتيب الزمني ولجأ إلى سرد ذكرياته وتجاربه وانطباعاته الماضية، في صورة ذكريات متقطعة غير مترابطة، خرج عن المفهوم الفني للسيرة الذاتية؛ لأنه حينئذٍ لا يوقفنا على ما طرأ على الشخصية من تطور وتحول في مراحلها المتعاقبة وينتفي بذلك الترابط اللازم للعمل الأدبي"[٢].

ويقول في موضع آخر: "وحظ الترجمة الذاتية من البقاء، يرجع في الغالب إلى مدى ما تنقله لنا من إحساس كاتبها بالصراع، الذي يثير في نفوسنا ألواناً من المشاعر تحفزنا على مشاركته تجاربه وخبراته، وعلى

١) التوريث الدعوي، ص ٥٠ وما بعدها باختصار .

٢) السابق، ص ٩ .

تعاطفنا مع مواقفه وأفعاله"[١].

(٨)الخُطة المؤثرة

ينبغي أن تكون للداعية في ترجمته الذاتية خطة مؤثرة؛ حيث إنها تحقق التفاعل والتأثير والتأثر بين الداعية والمتلقي أو القارئ لترجمته الذاتية، وفي ذلك يقول د/ يحيى عبد الدايم: "ولابد لكاتب الترجمة الذاتية أن يحقق لها خطة مؤثرة، تثير في نفس المتلقي لها التعاطف مع صاحبها، وتحرك تيار وعيه الباطن، وخبيئات وجدانه، ليحدث فينا جيشاناً عاطفياً، وتعاطفاً نفسياً مع كاتبها، لأنه حين يبسط دخائل نفسه أمام المتلقي، ويفضي له بمكنونات شعوره يقيم بينه وبين المتلقي رابطةً عاطفيةً لا تقوم إلا بين الصديقين الحميمين؛ إذ هو حين يصور كل ذلك يحمل القارئ لترجمته الذاتية إلى الارتداد إلى ذاته ليقيس تجاربه ومشاعره بتلك التي تصور أمامه، وهو حينئذ يعرض علينا مثالاً حياً من نفوسنا، وكل ذلك من ركائز التأثير الممتع الذي يثير فينا إحساساً درامياً، فيرقى بنا إلى ذروة النقاء أو قمة الطهر.

ومن هنا فإن الترجمة الذاتية تحقق الغاية المرجوة التي يؤديها العمل الفني" [٢].

ومما سبق يظهر أن الترجمة الشخصية لها ضوابط أخلاقية وفنية، ومن ثم لا ينبغي للداعية أن يغفلها أو يتجاهلها أثناء كتابة ترجمته الذاتية.

وقد يسأل سائل فيقول: وما الفائدة المترتبة على الدعوة من هذا الفن، وتوظيفه في الدعوة إلى الله تعالى، وللإجابة على هذا السؤال سوف ننتقل إلى المبحث اللاحق بمشيئة الله تعالى.

---

١) نفس المصدر، ص ١٥٠ .

٢) الترجمة الذاتية، ص ١٠ .

المبحث الخامس: فوائدُ وآثارُ فنِّ الترجمة الشخصية للداعية

بعد أن عرفنا حاجة الدعوة إلى فن الترجمة الشخصية، ونُبْذة حوله، ونماذج من الدعاة الذين ترجموا لأنفسهم، وضوابطه الأخلاقية والفنية تجدر الإشارة إلى آثاره وفوائده في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؛ والتي منها ما يلي:

أولاً: تقويم أداء الداعية

التقويم مصطلح يطلق في اللغة العربية ويراد به: المحافظة والإصلاح، والتعديل، وإزالة العوج، والتحديد [١].

والداعية بحاجة – بشكل دائم ومتجدد – إلى أن يقوم بعملية تقويم أدائه في الدعوة إلى الله تعالى، وفق معايير محددة، وطرقٍ ممنهجة، وذلك من حيث اختيار الفكرة التي يعرضها على المدعو، وكيفية أسلوبه في عرضها وطرحها عليه، والوسائل التي اعتمد عليها في تبليغ الفكرة وعرضها، والنتائج والآثار المترتبة على هذا الأداء بشكل عام، بحيث يقف من خلال عملية التقويم على نقاط الإيجاب والسلب، وعلى أسباب النجاح والإخفاق، ومن ثم يستطيع القيام بتطوير الأداء الدعوي، وتصحيح الأخطاء، وزيادة مهاراته في الدعوة إلى الله تعالى.

ولن تقوم عملية تقويم الأداء هذه إلا من خلال الملاحظات اليومية والتساؤلات الموضوعية التي يسجلها الداعية على جميع أعماله الدعوية، والتي يكتب فيها نقاط القوة والضعف، ويرصد فيها الأسباب والنتائج، ثم يجلس بينه وبين نفسه للاطلاع على هذه الملاحظات ونقدها، والإجابة على تساؤلاته بشكل موضوعي ومتجرد، ومحاولة الاستفادة منها في تطوير أدائه في الدعوة إلى الله تعالى، وتكون هذه

---

١) يراجع: لسان العرب، ١٢ / ٤٩٦ وما بعدها.

الملاحظات –المسجلة بشكل يومي– النواة التي يعتمد عليها الداعية في كتابة ترجمته الذاتية، وتسجيل تجاربه وخبراته في الدعوة إلى الله تعالى.

وعملية التقويم هذه يستفيد منها الداعية –بشكل شخصي – وتستفيد منها أجيال الدعوة اللاحقة بلا شك منه.

يقول الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله عن كتابه "الحمد لله هذه حياتي": "ويمكنني أن أقول: إني أعيد في هذا الكتاب تقييم حياتي، أعيد هذا التقييم لنفسي بعد أن عشت هذه الحياة، وأعيده للناس عسى أن يكون لهم في حياتي بعض ما يأخذونه، أو يكون لهم فيه مصدر للتأمل، والتفكير"[1].

ثانياً: إحياء فقه القدوة في ميدان الدعوة

من أهم وأعظم آثار فن الترجمة الشخصية للداعية أنه يعيد لنا إحياء فقه القدوة الصالحة في ميدان الدعوة، "فإن القدوة الصالحة من أعظم وأهم وسائل نشر الإسلام وتبليغه وتعليمه للناس، والداعية المسلم عنوان لدعوته، وسفير لدينه في كل مكان، والناس دائماً يجعلونه محل نظرهم، وموضع مراقبتهم، وليس شيء أجمل في نظرهم من مظهر داعية ملتزم بالإسلام، عامل به، مطبق لما يدعو إليه، فإذا كان الداعية كذلك، فقد حاز رضا الله، وأحبه الناس ووقروه، وأقبلوا عليه وعلى دعوته، وإلا سقط من أعينهم ونفروا منه، وحلّ عليه سخط الله وخسر خسراناً مبيناً، وكسدت دعوته كساداً شنيعاً.

والإسلام اليوم أحوج – من أي عصر مضى – إلى دعاة صالحين، تتجسد فيهم ومن خلال سلوكهم وتصرفاتهم مبادئ الدين الذي

---

١) الحمد لله هذه حياتي، ص ١٠ .

يدعون إليه، ومضامين الدعوة التي يعملون في ميدانها، كي تتبد معالم الصورة الشائهة التي حاول خصوم الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج أن يرسموها للإسلام، وليحوّلوا – من خلال التزامهم العملي بالإسلام – مبادئه السامية من حيّز التجريد والنظرية، إلى واقع التطبيق والنماذج العملية، فيُثبتوا للناس قابلية مبادئ الإسلام، وصلاحية منهجه للتطبيق، وجدارته بإسعاد البشر.

هذا؛ والتاريخ يشهد بكل الفخر والاعتزاز بأن القدوة الصالحة كان لها أحسن الآثار، وأطيب الثمار في ميدان الدعوة الإسلامية، حيث كانت – ولا تزال – سبيلاً لنشر الإسلام على أوسع نطاق.

من هنا؛ فإن حاجتنا إلى الداعية المسلم القدوة أكيدة، والعمل على إيجاده ضرورة ملحة، وواجب مُحَتَّمٌ، في حق كل من يستطيعون ذلك"[١].

والداعية من خلال كتابة ترجمته الشخصية، وتسجيل مواقفه وآرائه في الدعوة والإصلاح، وإيضاح منهجه في الدعوة، وإبراز وسائله وأساليبه، يصبح قدوة صالحة للناس عامة وللدعاة خاصة.

وإحياء فقه القدوة والاعتبار كان من غايات علم التاريخ – بشكل عام – عند العلماء قديماً وحديثا، يقول د إحسان عباس: "على أن هنا موطناً يحسن التنبه له وهو أن علم الأخبار ؟ أو التاريخ نفسه ؟ كان في القرون الوسطى يخدم غاية خلقية حتى عند مؤرخ شامل النظرة عميق الفلسفة كابن خلدون، فإن الغاية من التاريخ عنده هي الكشف عن القدوة الحسنة، وتجنب المزالق والاعتبار بأخطاء الماضي. وكذلك هي غاية التاريخ عند رجل يعكس الأثر الديني العميق مثل ابن حزم، فهو ينصح

١) القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى، د إسماعيل علي محمد، ص ٥ ، ٦ ، دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط الثانية ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

المتعلم بقراءة التاريخ ، "ليقف على حَمَدِ المتقين للفضائل فيرغب فيها ويسمع ذمهم للرذائل فيكرهها؛ وتلك هي الغاية التي يصادفها كل من يطالع "الإعلان بالتوبيخ" للسخاوي حيث جمع المؤلف مقدمات الكتب التاريخية التي يتحدث فيها المؤرخون عن حد التاريخ وغاياته وفوائده، ويكفي أن أنقل هنا قول ابن الجوزي في مقدمة شذور العقود: "إن التواريخ وذكر السير راحة للقلب وجلاء للهم وتنبيه للعقل فإنه... إن شرحت سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قصصت قصة مفرط خوفت من إهمال الحزم "[1].

وقد كان الحث على الاقتداء والاحتذاء من ضمن أهداف كتابة الترجمة الشخصية عند السلف، وفي ذلك يقول د/ يحيى عبد الدايم: "ومن الملامح البارزة في التراجم الذاتية في التراث العربي، أن مجموعة منها تهدف إلى المثالية الروحية، ولذلك فإنها تقدم النمط التهذيبي؛ حثاً على القدوة والاحتذاء"[2].

وقد أكد على هذا الأمر الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله في ترجمته الشخصية، يقول: "قلت في نفسي: إنه لو مرت بالقراء ضمن قصتي المتواضعة هذه الحقائق الجليلة لكانت زادً للعبرة والعِظة، ودافعاً إلى علو الهمة والطموح، وتعليق الرجاء بالله تعالى وحسن الظن به، وإنه لا يتيسر تلقين هذه الحقائق والعظات والعبر في مقال علمي رزين أو خطاب ديني جليل كما يتيسر في قصة ساذجة وحكاية مرسلة عن النفس وأحداثها ووقائعها، وإنه يتجلّى في حياة معاصر متواضع ، من تجارب الحياة ونتائج الأحداث ما لا يتجلى أو يستخرج – أحياناً – من تراجم الشخصيات المرموقة العظيمة في التاريخ، وحياة النوابغ من

١) فن السيرة، إحسان عباس، ص ١١ ، دار الثقافة – بيروت – لبنان، ط الثانية ، ١٩٠٠م .
٢) الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ص ٣٧ .

السلف الأقدمين، فلا تنبعث منها عاطفة تقليدهم ومحاكاتهم ودوافع الأخذ بتجاربهم، كما تنبعث من قصة حياة المعاصرين أو صغار السن، إذ لا مجال هنا للاعتذار بتفاوت الأعصار والفوارق بين عهد اليُمن والبركة، وعهد الفتن والشرور"[١].

ثالثاً: معرفة الحقائق الدعوية والتثبت منها

هناك بعض الحقائق التي تتعلق بالداعية، ومسيرة الدعوة الإسلامية في زمانه ومكانه، والداعية أوثق من يحتفظ بها لنا، وأصدق من يحدثنا عنها، وفنُّ الترجمة الذاتية يساعدنا في معرفة ذلك، "فالترجمة الذاتية – على ما نرى – تنقل لنا الحقيقة عن الإنسان، وتمدنا بحياته على نحو أصدق مما تمدنا به "السيرة العامة" أو "الرواية التاريخية"، لأن الترجمة الذاتية أقرب الأنواع تصويراً للحقيقة المعبرة عن الإنسان، وأكثرها التزاماً للصدق، إذا أنها تنقل الواقع الذاتي الذي شكلته الأحداث الخارجية، وتصور التجارب التي أحدثت الصراع الداخلي لصاحبها، وهذه التجارب الشخصية الخفية التي تنقل مغالبته للحياة، وتذوقه ما فيها من حلو ومر، إنما يقارنها قارؤها بتجارب نفسه، وحين يصورها كاتب الترجمة الذاتية في تلقائية وأسلوب أدبي، حافل بالحركة والحيوية والحرارة في إطلاعنا على وقائع الماضي، وأطوار الشخصية، إنما يثير فينا خفايا الوعي الباطن، ويحرك دخائل النفس، وكوامن الوجدان، والترجمة الذاتية، حين تبلغ في النفس هذا الحد، تستثير في المتلقي لها، المشاركة والتعاطف لأنها تنقل له مثلا حياً من نفسه"[٢].

---

١) في مسيرة الحياة، ١ / ٢٢ .

٢) الترجمة الذاتية في الأدب العربي، ص ٢٨ .

رابعاً: ترشيد مسيرة الدعاة إلى الله تعالى

من أهم وأعظم آثار الترجمة الشخصية للداعية أنه يستطيع من خلالها نصح الدعاة في كل زمان ومكان، وتوجيههم وإرشادهم إلى الصحيح في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، وتحذيرهم مما يضر بها في الحاضر والمستقبل.

وفن الترجمة الشخصية وسيلة جيدة للداعية في تحقيق هذا الأمر؛ حيث إن الداعية يستطيع أن يتحدث ويكتب عن كل تجاربه في الدعوة، وكيفية الاستفادة منها، ورسم طريق واضح صحيح للدعاة إلى الله تعالى، ولا يتأتى هذا الأمر في مؤلفٍ علمي آخر بشكل ما يكون في الترجمة الشخصية.

وقد لاحظ أهمية هذا الأثر السيد الأستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله، ومن ثم طلب من الشيخ الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله كتابة ترجمته الذاتية، وقد كان هدفه من ترجمة الشيخ لنفسه إفادة الأجيال المعاصرة واللاحقة، حيث قال له: "إنه إن لم ينفع أهل عصرنا انتفع به من يأتي بعدنا [1].

وقد أدرك الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تحقق هذا الأثر من خلال ترجمته الشخصية، فحرص على نصح الدعاة إلى الله تعالى من خلال هذه الترجمة، فنجده – مثلاً – ينصح الدعاة بقوله لهم: "إن أي عامل في مجال الدعوة والإصلاح في بلاد جديدة، وبيئة جديدة، يحتاج إلى أمرين مهمين حاجة شديدة:

(١) معرفة الناس به شخصياً، ومعرفة أسرته وماضيه وتاريخ سلفه، واحترامهم وإكبارهم له، ولذلك يرى بعض المطلعين على تاريخ

١) السابق، ص ٥٩ ، نقلا عن تاريخ الأستاذ الإمام ، السيد محمد رشيد رضا.

النبوات والدعوات والمنصفين من علماء النفس، أن ذلك سر اختيار الأنبياء من أكرم أُسر قومهم وبلادهم، وأجلّها مكاناً.

(٢) الوجاهة الظاهرة، والتأثير الشخصي حتى تكون كلمة الداعي مسموعة تتأثر بها القلوب والعقول، ومن أسبابهما العامة: البسطة في العلم والجسم، والخطابة القوية المؤثرة، واللَّسَن وفصاحة البيان وقوة الحُجّة"[١].

خامساً: إثراء علم تاريخ الدعوة

من أبرز وأهم فوائد فن الترجمة الشخصية للداعية أنه يساهم – بشكل كبير – في إثراء علم تاريخ الدعوة [٢]، حيث إنه يُعتبر أحد وأهم مصادر علم تاريخ الدعوة الإسلامية، (ذلك العلم الذي يندر الحديث عنه في هذا العصر، وقد أهمل الحديث عنه كثير من المتخصصين في علوم الدعوة الإسلامية)، ويؤرخ هذا الفن – أيضاً – لحركة الدعوة الإسلامية في العصر الذي يعيش فيه الداعية، فيستطيع الداعية من خلاله أن يحدثنا عن عملية المدّ والجزر في حركة الدعوة، وأن يكتب لنا عن حركات الدعوة، وشخصياتها، ومؤسساتها، ومؤتمراتها، وإنتاجها الفكري والسياسي والاجتماعي، من حيث كونه شاهداً على كل ذلك، فعلى سبيل النموذج من ذلك نجد الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى يحدثنا في ترجمته الشخصية عن حركة الدعوة الإسلامية في البلاد التي زارها بشكل عام وفي الهند بشكل خاص، فيحدثنا عن حركة الخلافة في الهند، وكيف أفشلها الانجليز، وعن دار ندوة العلماء

---

١) في مسيرة الحياة، ١ / ١٩٦ .

٢) علم تاريخ الدعوة هو: "دراسة الدعوة الإسلامية من حيث أوضاعها وفنيتها، ورجالها إلى قيام الساعة". المستفاد من تاريخ الدعوة إلى الله قديماً وحديثاً، د فرج محمد إبراهيم الوصيف، ١/ ١٢ ، ط الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .

وإسهاماتها في خدمة الدعوة الإسلامية، وعن الدعاة والمصلحين في الهند الأصلاء، وعن الدعاة الذين زاروا الهند من أجل التدريس والدعوة مثل الأستاذ العلامة تقي الدين الهلالي، ويحدثنا عن رجالات الدعوة في البلاد الإسلامية والعربية التي قام بزيارتها، ومؤسساتها، وفي مقدمتها مصر، والأزهر الشريف ورجالاته، ومدى إسهاماتهم في خدمة الدعوة الإسلامية، وكل ذلك مما يثرى علم تاريخ الدعوة، وتستفيد منه علوم الدعوة الإسلامية وتخصصاتها في الحاضر والمستقبل.

سادساً: معرفة مناهج الدعاة وإنتاجهم الفكري والدعوي

يساهم هذا الفن في التعرف على مناهج الدعاة إلى الله تعالى وطريقتهم في الدعوة، وقياس هذه المناهج على الكتاب والسنة، ومحاولة الاقتداء بها والاستفادة منها متى كانت صحيحة معتبرة، وتقويمها ونقدها متى كانت مخالفة لأصول الدعوة الإسلامية.

ولن نستطيع التعرف على مناهج الدعاة إلى الله تعالى إلا من خلال هذ الفن؛ حيث إن الداعية أصدق وأثبت من يحدثنا عن منهجه وطريقته في الدعوة إلى الله تعالى.

وقد أكد على هذا الأثر الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله، حيث قال: "وقد كان من الدوافع إلى هذا التأليف أنني سوف أجد عن طريقه فرصة طيبة ضمن بيان عقليتي وتفكيري، وتطوراتهما، وتاريخ الإنشاء والكتابة والتأليف في حياتي، وأهم الأحداث والوقائع، والحركات والدعوات في عهدي، لعرض آرائي وأفكاري، ومشاهداتي وانطباعاتي، ودعوتي ومنهجي بصورة مختصرة، وعرض النقاط الأساسية الرئيسية من كتاباتي ومؤلفاتي، وتقديم مقتطفات مهمة منها، وهي منشورة مبعثرة في كثير من مقالاتي ومحاضراتي ومؤلفاتي، التي بلغت أكثر من خمسة

وسبعين مؤلفاً، ليس من اليسير أن يقف عليها من يريد الاطلاع على آرائي فيها في وقت واحد"[١].

ويقول الشيخ الإمام الأكبر عبد الحليم محمود رحمه الله، عن كتاب "الحمد لله هذه حياتي": "إنه سرد لحياتي، يسير معها في تتابعها، وهو ليس سرداً لحياتي المادية فحسب، إن هذه الحياة المادية لم تأخذ منه إلا حجماً ضئيلاً، إنه تاريخ لحياتي الفكرية على الخصوص، وهو خواطر تمر في أثناء الكتابة، وهو محاولة لبيان بعض الزوايا من آرائي، وكتبي الماضية، أضعها مرة أخرى بين يدي القارئ، لما أرى لها من أهمية خاصة، إنه قصة فكر قبل أن يكون قصة حياة، قصة فكر، حاول صاحبه أن يصل جاهداً إلى الصراط المستقيم، وأن يشرح ما وصل إليه للناس، وقد تعمدت الاستطراد تعمداً، وذلك لأنشر هذا الرأي أو ذاك، مما آمنت به، سواء أنشرته من قبل، أم لم أنشره"[٢].

سابعاً: معرفة وسائل الدعاة وأساليبهم في الدعوة

الوسائل الدعوية متعددة ومتغيرة، وتتغير بتغير الزمان والمكان، وتختلف من داعية إلى آخر، والداعية الحصيف هو الذي يستغل أي وسيلة معتبرة تتاح له في تحقيق أهداف الدعوة ومقاصدها، وفن الترجمة الشخصية للداعية يساعدنا في التعرف على ذلك قديماً وحديثاً؛ حيث إن الداعية من خلال هذا الفن يستطيع أن يطلعنا على أهم الوسائل والأساليب الدعوية التي استخدمها في الدعوة إلى الله تعالى، وكيف ساهمت في إنجاح دعوته، أو كيف أثرت عليها بشكل عام.

وقد أدرك قيمة هذا الأمر الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله،

---

١) في مسيرة الحياة، ١ ، ٢٥ .

٢) الحمد لله هذه حياتي، ص ١٠ .

فحرص من خلال هذا الفن أن يسجل لنا وسائله وأساليبه في الدعوة والإصلاح، فظهر لنا من خلال ترجمته أنه لم يترك وسيلة دعوية تُتاح له إلا وقد قام بتوظيفها في الإصلاح والدعوة، فنجده مثلا يهتم بوسيلة "الكتابة" يعرض من خلالها قضايا الأمة وأسباب مشاكلها وطرق معالجتها، ويعرض فيها خصائص الدعوة الإسلامية ورؤيتها في الإصلاح والنهوض، ومن أشهر مؤلفاته "رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، و "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"[١].

وقد كان يعتمد على "الرسائل" الخاصة المكتوبة في دعوته زعماء الدول ومناقشة العلماء والمصلحين، ومن بين هذه الرسائل: رسالته إلى "إنديرا غاندي" رئيسة الوزراء في الهند، والتي حدثها فيها عن خطر "حركة إحياء الهندوسية الشاملة لعموم الهند"[٢].

ونجده أيضاً يهتم بوسيلة المؤتمرات والندوات والمحاضرات العلمية والدعوية، وإلقاء الخطب والمواعظ والدروس، التي يتحدث فيها مع عامة الأمة الإسلامية، بأسلوب يعتمد فيه على الحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين في الخطاب[٣].

ونجده أيضاً يعتمد على وسيلة الدعوة الفردية، ويستغلها استغلالاً صحيحاً في الدعوة والتوجيه، مثل دعوته الدكتور "أمبيدكر"[٤] إلى

---

١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام من أشهر مؤلفات الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله، وقد قامت بطباعتها جامعة دمشق – سوريا – في سنة ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م .

٢) يراجع: في مسيرة الحياة، ٢ / ٥٩ وما بعدها .

٣) يراجع: في مسيرة الحياة، ٢ / ٢٠٧ .

٤) " كان من كبار الحقوقيين في الهند، واختير وزيراً للقانون في أول حكومة مستقلة، وهو الذي وضع الدستور الهندي، وكان ينتمي – ولادة وتناسلاً – إلى إحدى الطبقات المنبوذة". في مسيرة الحياة، ١ / ١٢٠ .

الإسلام.

ومن ثم نستطيع أن نتعرف على الوسائل والأساليب التي قد يعتمد عليها الداعية في الدعوة إلى الله تعالى من خلال هذا الفن، وقد يساهم – أيضاً – في إثراء مادة "وسائل التبليغ" في تخصص الدعوة الإسلامية وعلومها.

ثامناً: معرفة موقف الدعاة من النوازل والمستجدات الإسلامية

يستطيع الداعية من خلال هذا الفن أن يُسجل لنا موقفه من النوازل والمستجدات التي تتعرض لها الأمة الإسلامية، ومدى تأثير هذه النوازل والمستجدات على حركة الدعوة الإسلامية في عصره ومكانه، ولا نجد أصدق من الداعية وأثبت منه يحدثنا عن مواقفه تجاه هذه النوازل والمستجدات، فعلى سبيل المثال نجد الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى يسجل لنا موقفه ورؤيته الواضحة في قضية تقسيم الهند إلى: الهند، وباكستان، وأثر هذا التقسيم على المسلمين وحركة الدعوة الإسلامية، قال رحمه الله: "كنا في الحجاز نقضي أيام رمضان المباركة في المدينة المنورة – على صاحبها الصلاة والسلام – بخصائصها وبركاتها، إذ سمعنا نبأ تقسيم الهند، وقيام جمهوريتين اثنتين: الهند، وباكستان، وقامت القيامة، وكانت كارثة عظيمة كنا نسمع أخبارها عن طريق الصحف والرسائل، مع تأخير في بلوغ الأخبار، وباختصار وإيجاز للأوضاع الخاصة.

وقد تقدَّم أنه رغم بُعدي عن العمل السياسي كانت نزعتي ونزعة أسرتي متجهة إلى جبهة تحرير البلاد وإجلاء الانجليز، وكنا نرى أن التقسيم سيفقد المسلمين نفوذهم السياسي وتأثيرهم الديني في الهند، ويجني على حركة الدعوة الإسلامية والخلقية التي كانت ولا تزال المُنقذ

الوحيد لشبه القارة الهندية من الانتحار والانهيار، وكنا – أفراد الأسرة – أميل إلى قادة هذا الرأي والعلماء الذين عارضوا التقسيم، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم الشيخ المجاهد السيد حسين أحمد المدني، وكنا نرى في ذلك أخطاراً وأضراراً.

ولكن لم نكن نجهل في نفس الوقت ضيق صدر الأكثرية من سُكان البلاد – الهنادك – وقِصر نظرهم، وموقفهم المتعصب العدائي من المسلمين الذين كانوا يعملون معهم في مجالات مختلفة، وكنا لأجل ذلك نستطيع أن ندرك نفسية هذه الطبقة التي يقودها ويتزعمها السيد محمد علي جناح، وطريق تفكيرها ومنهجها التي كانت – لبغضها للأكثرية ويأسها منها، وكردة فعل نفسية – تتمنى للمسلمين دولة حُرة وبلداً حراً، وتعتبر ذلك حاجة أكيدة شديدة، حتى يعيش المسلمون هناك حياة العز والكرامة، حسب قدراتهم وجهودهم وصلاحياتهم، وكنا ننصف ذلك الفريق الذي كان يريد قطعة من الأرض، ويركز على أهميتها وحاجتها، حيث يقوم المسلمون هناك بتجربة حياة إسلامية حرة، تكون لها السيادة والقيادة، ويثبتون بها تفوق النظام الإسلامي وسمو الشريعة الإسلامية وأنها أفضل وأنفع"[1].

وقد أبان لنا الشيخ الندوي رحمه الله أيضاً موقفه من الثورة الإيرانية والخميني – الزعيم الشيعي – وأنه كان من الرافضين لها والمعترضين على قبولها والتسليم بأهدافها ومبادئها، خاصة وأن زعيمها الخميني لم يتبرأ من مبادئ الشيعة وعقائدهم في القرآن الكريم والصحابة رضي الله عنهم، وقد أكد أنها خدعة شيعية مذهبية وطائفية،

---

١) في مسيرة الحياة، ١ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

لن تُعنى بشؤون الأمة الإسلامية وإنما ستُعنى بشؤون الشيعة فقط، ورفض الإعجاب بشعاراتها، والتسليم لها، وتعجب من بعض العلماء والأدباء – خاصة من أهل السنة – الذين أعجبوا بالثورة الإيرانية الخمينية وناصروها وأيدوها، وأنكر عليهم ذلك، ومن ثم رأى أن يكتب في ذلك كتاب "صورتان متضادتان" لإيضاح عقائد الشيعة ومذهبهم الدخيل على الأمة والفكر الإسلامي.

وقد أكد الشيخ رحمه الله صحة موقفه ذلك بقوله: "ونحمد الله تعالى على أن وفقنا لإنجاز هذا العمل في أوانه، ولا تزال أهميته وفائدته، فإن الثورة الإيرانية ونوعيّتها وإهراقها للدماء وعنفها وضرواتها، والحرب المستمرة الطاحنة بينها وبين العراق التي مضى عليها سبع سنوات، كل ذلك خطر رهيب على الخليج كله، وأشد من كل ذلك وأنكى مظاهرة الإيرانيين الهجومية العنيفة عام ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م في موسم الحج بمكة المكرمة ومخططاتهم الخطيرة – التي لقيت حالياً إخفاقها وفشلها – عن الحرمين الشريفين أكدت الحاجة من جديد إلى عملية الانتقاد والاحتساب لموقف الحكومة الإيرانية ومسؤوليها الشيعيين الذي ظل خطراً شديداً على العالم الإسلامي، والذي يحاول تشويه الصورة الإسلامية في أنظار غير المسلمين، وترويج المغالطات والأكاذيب والظنون السيئة عن الإسلام والتاريخ الإسلامي"[١].

ولا يخفى الآن عند كل ذي لُب صحة موقف الشيخ الندوي رحمه الله من الشيعة والثورة الإيرانية، حيث أثبتت الأيام والأحداث أن الثورة

١) السابق، ٢ / ١٩٥ .

الإيرانية والخمينية لم تكن ثورة إسلامية حقيقية خالصة، بل كانت ثورة مذهبية طائفية، حرصت على توطيد دعائم المذهب الشيعي ونشره في أوساط المسلمين السنة، ولا يخفى ما يتعرض له المسلمون السنة في إيران من اضطهاد وقمع، كما أننا نسمع ونشاهد ما تقوم به قنوات الشيعة الفضائية من إقامة البرامج المباشرة من أجل الطعن في الصحابة رضي الله عنهم والطعن في القرآن الكريم، وتزوير التاريخ الإسلامي، ودعم الحكومة الإيرانية لهذه القنوات.

وهكذا نجد فن الترجمة الشخصية يساعد الداعية في تسجيل مواقفه وآرائه من كل النوازل والمستجدات في حياة الأمة الإسلامية، وإفادة أجيال الدعوة بها في كل زمان ومكان.

تاسعاً: الترجمة لرجالات الدعوة

فن الترجمة الشخصية من أهم الوسائل التي يستطيع الداعية من خلالها أن يحفظ لنا ذكر الدعاة السابقين والمعاصرين له، والاطلاع على أحوالهم، وأنسابهم، وذريتهم، وتراجمهم، ومدى إسهاماتهم في خدمة الدعوة والنهوض بها، وقد لا نستطيع التعرف على هؤلاء الدعاة إلا من خلال هذا الفن، فعل سبيل المثال من ذلك نجد الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى يذكر لنا أسماء دعاة ومصلحين وعلماء ربانين في ترجمته لنفسه، ويعرفنا بأحوالهم، ودعوتهم ومناهجهم في الدعوة والإرشاد والإصلاح في بلاد الهند، فيذكر لنا على سبيل المثال: الأمير السيد قطب الدين محمد المدني (٥٨١هـ - ٦٧٧هـ)، الذي قدم إلى الهند عن طريق بغداد وغزْنة في فتنة المغول في أوائل القرن السابع الهجري مع جماعة كبيرة من أصحابه ، وتولى مشيخة الإسلام في دهلي مدة من الزمان، ثم خرج مجاهداً في سبيل الله، فكان مع أولى

الهمة والرغبة في الجهاد يفتحون البقية الباقية من البلاد، أو ما خرج من الحكم الإسلامي وثار عليه، ويضمونه إلى المملكة الإسلامية، وأبلى فيه بلاءً حسناً، وفتح القلاع ونشر الإسلام، وربى جماعة كبيرة من أهل الصلاح والعقيدة السليمة والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله.

والسيد فضيل الحسني (١٠٩٦م) مؤسس الأسرة الحسنية، ومنشئ المركز الديني التربوي الكبير في "رائ ريلي" في آخر القرن الحادي عشر الهجري، وكثر في ذريته العلماء والمربون الذين دعوا إلى العقيدة الصحيحة والتمسك بالسنة السنية، والربانية الصافية، وإعلاء كلمة الله، وإدالة الدين والمسلمين من القوات المحاربة للإسلام والشريعة المطهرة.

والسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) قائد حركة الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله الكبرى في تاريخ الهند الإسلامي، ومؤسس الحكومة الشرعية على منهاج الخلافة الراشدة في الحدود الشمالية الغربية للهند[١].

وكذلك حديثه عن الأستاذ محمد إقبال وشعره ومدى إسهاماته في خدمة الدعوة الإسلامية[٢].

ونجد أيضاً الشيخ الأكبر عبد الحليم محمود رحمه الله يسجل لنا أسماء كوكبة من الدعاة الذين التقى بهم أو تأثر بهم في حياته، فذكر لنا على سبيل المثال: الشيخ محمد شاكر رحمه الله، والشيخ محمود شلتوت رحمه الله، والشيخ حامد محيسن رحمه الله، والشيخ سليمان نوار رحمه الله، والدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله، والشيخ محمد عبد اللطيف

١) يراجع: في مسيرة الحياة، ١ / ٢٨ ، ٢٩ .

٢) يراجع: نفس المصدر، ١ / ١٢٧ وما بعدها .

دراز رحمه الله، والإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي رحمه الله، والإمام الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق رحمه الله[١].

عاشراً: إثراء علم التاريخ بشكل عام

تسهم الترجمة الشخصية للداعية في إثراء علم التاريخ بشكل عام؛ حيث إن الترجمة الشخصية تمشي إلى جانب التاريخ جنبا إلى جنب، تنشأ وتشب في حضن التاريخ، وكلما كانت الترجمة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وأعماله متصلة بالأحداث العامة، أو منعكسة منها، أو متأثرة بها، فإن الترجمة تحقق غاية تاريخية.

وكلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد، وتفصله عن مجتمعه، وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، وتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة، فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ومنقطعة[٢].

" كما تبدو الصلة بينها وبين التاريخ وثيقة إلى حدّ القول بوجود نقاط تلاقٍ بينهما وامتزاج"[٣].

يقول الأستاذ أحمد أمين رحمه الله موضحاً هذا الأمر: "فلماذا – إذن – لا أؤرخ (حياتي) لعلها تصور جانباً من جوانب جيلنا، وتصف نمطاً من أنماط حياتنا، ولعلها تفيد قارئا، وتعين مؤرخا"[٤].

ومن ثم فإن من أهم فوائد فن الترجمة الشخصية للداعية أنه يطلعنا على التاريخ بشكل عام؛ وذلك من خلال حديث الداعية عن طبيعة عصره، وطبيعة المكان الذي عاش فيها، وأوضاع الحالة

---

١) يراجع: الحمد لله هذه حياتي، ص ٩١ وما بعدها .

٢) فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، ص ١٩٨ ، ١٩٩ باختصار وتصرف .

٣) أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، ص ٥٥ .

٤) حياتي، الأستاذ أحمد أمين، ص ٦ ، ٧ ، مكتبة النهضة المصرية، ط الرابعة ، ١٩٦١م .

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والداخلية والخارجية، وطبيعة الصراع في هذه المرحلة بين الدعوة والتيارات الفكرية المناهضة لها، وموقف الأديان الأخرى منها، وغير ذلك مما يستفيد منه المتخصصون في علوم التاريخ.

وقد أدرك هذه الفائدة الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى فأخذ يطلعنا من خلال ترجمته الشخصية على تاريخ الهند، والأحداث الهامة فيه، وطبيعة المكان الذي تربى فيه، والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيه.

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في مقدمة كتاب "في مسيرة الحياة": "إن أكثرنا يجهل تاريخنا في الهند، وتاريخ الإسلام في الهند يعدل ربع التاريخ العام، وذلك أننا حكمنا هذه القارة الهندية نحواً من ألف سنة، وكانت يوماً لنا وحدنا، وكنا نحن سادتها، ولئن كانت لنا في إسبانيا أندلس أضعناها، فإن لنا هنا أندلساً أكبر، ولئن تركنا في الأندلس تلالاً بقايا من شهدائنا، وسواقي من دماء أبطالنا، فلقد خلفنا في الهند أضعاف ما تركناه في الأندلس...

كتاب الأستاذ أبي الحسن ليس سرداً لأحداث حياته، ولكنه كتاب تاريخ، وكتاب أدب فيه وصف للأمكنة كأنك تراها، وكتاب علمٍ فيه ذكر العلماء ومجالس العلم، وسجل اجتماعي فيه وصف عادات الناس وأوضاعهم في الهند"[١].

وقد كان هذا الأثر من أهم الأسباب التي دفعت الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله في كتابة ترجمته الشخصية ، يقول: "السبب الثاني:

١) في مسيرة الحياة، ص ٩ .

أن هناك كثيراً من المواضيع والأحداث والوقائع والمؤسسات والحركات، والشخصيات والجماعات، وتصوير البيئة والأعراف، ونظام التربية السائدة في البيوتات، لا يتيسر الحديث عنها إلا في تضاعيف قصة حياتي ومذكرات رحلة عمري، فإننا لو ألقينا الضوء على كل واحدة منها بصورة منفردة مستقلة لاحتاج ذلك إلى مجلدات مفردة، زد إلى ذلك المسؤوليات التاريخية والالتزامات التأليفية، التي قد تحول دون تناول كثير من الحقائق ولباب الحديث الذي يسهل إيراده في قصة الحياة الشخصية في غير ما تكلف واهتمام، وهكذا تتحول حياة فرد – إذا كان لا يعيش في دنيا الأحلام والرؤى، وقد وهبه الله تعالى شعوراً حياً بالأوضاع والظروف، والبيئة والجو، وصلاحية التأثر بها والتجاوب معها، وملكة العرض والكتابة عنها – تصويراً صادقاً ناطقاً لعهده، ومذكرة حية له، وقد يعثر فيها المؤرخ والمؤلف على تلك المواد المفيدة الضرورية، التي لا يجدها في كتب التاريخ العرفي التقليدي، وحياة العباقرة الجليلة المليئة بالبطولات"[1].

حادي عشر: الإسهام في التوريث الدعوي

يساهم فن الترجمة الشخصية في عملية التوريث الدعوي؛ والتي "تعني أن يُقدِّم السابقُ للاَّحق خُلاصة تجاربه، وعُصارة حياته الدعوية، ليبدأ اللاحق من نقطة انتهاء السابق، فهذه القضية إذاً من أهم القضايا الدعوية على الإطلاق لأنها توفر الجهود، وتسدد المسيرة، ويؤمن معها وبها الزلل والخلل إن شاء الله تعالى.

والملاحظ أن الهيئات الإسلامية والتجمعات الدعوية الرسمية منها

---

١) السابق، ١ / ٢٣ .

والشعبية لا تكاد تلتفت إلى هذه القضية المهمة، فتجد المسؤولين يغادرون مواقعهم التي مكثوا فيها سنوات فيأتي مَن لا خبرة له أو صاحب الخبرة الضحلة ليتولى مسؤولية عمل لم يتقنه أو لم يحط به علماً كما ينبغي، وهو إما أن يكون قد شارك في فريق ذلك المسؤول عن العمل أو أنه جديد تماماً، وفي كلتا الحالتين فإنه قد ورث تركة ثقيلة، مدار إدارتها على تعاليمَ شفوية في أكثر الأحيان ليبدأ طريقاً طويلاً يكاد يكون فيه لا صلة له بمن سبقه" (١).

والملاحظ أيضاً "أن جمهرة كبيرة من الدعاة والصالحين والعلماء يغادرون هذه الحياة بدون أن تستفيد منهم الأجيال في وراثة مفيدة قائمة على أصول علمية واضحة، ولذلك يفقد العالم الإسلامي بهذا كنزاً ثميناً لا يعوّض غالباً إلا أن يشاء الله تعالى، فلو كانت هناك مؤسسات مهمتها استقاء ما عند أولئك الدعاة والعلماء والصالحين وتتبُّع أوضاعهم وتَسقُّط أخبارهم، وتسجيل المهم من خبرتهم وأحوالهم لكان ذلك أمراً حسناً يدل على عناية الأمة بالخيرة من أبنائها والعظماء منهم" (٢).

وجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه القضية، وذلك في ثنايا حديثه عن زكريا عليه السلام، قال تعالى:**[وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا] {مريم:٥، ٦}**.فقد ذهب بعض أهل

١) التوريث الدعوي، د/ محمد موسى الشريف، ص ١١ .

٢) السابق، ص ١٤، ١٥ .

العلم إلى أن الوراثة هنا هي وراثة العلم والصلاح والنبوة [١].

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوريث العلمي والدعوي، وذلك عندما كان يأمر أصحابه رضي الله عنهم بتبليغ الشاهد للغائب ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث الذي رواه عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "**لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ**"[٢].

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على قضية التوريث هذه عندما أمر وفد عبد قيس بقوله لهم: "**احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ**"[٣].

وقد "كان الصدر الأول من المسلمين يشيع فيهم التوريث في كثير من أمورهم، فهذا كتاب الله تعالى وقد ورثوا علمه خلفاً عن سلف وكابراً عن كابر، وورثوا طريقة قراءته كذلك، وهذه أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورثوها بأسانيد متصلة، وقُل الشيء نفسه في الشعر الذي كان ديوانهم، ويتوارثونه جيلاً بعد جيل، وكل ذلك قبل عصر التدوين وانتشار الكتابة والكتب"[٤].

أما عن الدعاة في العصر الحديث "فقد حرص كثير منهم على توريث دعوته لغيره من الناس باللقاء معهم، وإفادتهم من تجاربه،

---

١) يراجع: تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ،٩/ ٢١٦ ، المحقق : مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث – الجيزة – ط الأولى ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .

٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ك العلم، ب رُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، ١/ ٢٤ ، رقم ٦٧ ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ .

٣) صحيح البخاري، ك العلم، ب بَاب تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ، ١/ ٢٩ ، رقم ٨٧ .

٤) التوريث الدعوي، ص ٣١ .

وتوريثهم من علمه وفنِّه، وكان منهم من يخص بعض طلبته بمزيد من الاعتناء والتوجيه، وذلك متضح في سير بعض الدعاة، منهم: السيد/ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الأستاذ محمد عبده، والأستاذ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا، وعلاقة هؤلاء بمشايخهم وثيقة إلى حد كبير جداً، ولقد ورثوا منهجهم وطريقتهم في الدعوة، وكان للمشايخ أثر كبير في حياة التلاميذ الأعلام، وهذه العلاقة ينبغي أن تكون منهجاً يُسار عليه ويُصار إليه، ونبرات يضيء لنا الطريق إلى الاستفادة من كبار العلماء والدعاة الأحياء حتى لا يأتيهم الأجل إلا وقد وُرِثوا وراثة حقيقية نافعة"[١].

ومن ثم فإن أعظم آثار هذا الفن وفوائده أنه يساهم بشكل كبير في عملية التوريث العلمي والدعوي، وأنه من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الداعية في ذلك، يقول د/ محمد موسى الشريف: "من المصادر الثرية بالتجارب التي تستحق الاعتناء بالتوريث وتوقيف الأجيال عليها كتب "الذكريات" أو "المذكرات"، وذلك لأن أصحابها سطَّروا فيها عصارة تجربتهم وخلاصة حياتهم، بعد أن خبروا الحياة وخبرتهم، وعاركوها وعركتهم، وواجهوا مواقف كثيرة خرجوا منها بنجاح أو فشل، وبلوا الناس وعرفوهم، فجاءت تلك الكتب على ما يشتهي القارئ ويحب غالباً.

وينبغي على كل من يظن أن عنده تجارب تستحق الكتابة والنظر فيها ألا يتردد في كتابتها ولا يحقرنّها فتذهب أدراج الرياح"[٢].

---

١) السابق، ص ٤٣، ٤٤ .

٢) التوريث الدعوي، ص ٤٧ وما بعدها باختصار .

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأن هناك آثاراً عديدة وفوائد جليلة قد تترتب على وجود هذا الفن واستثماره وتوظيفه في خدمة الدعوة الإسلامية، وقد ذكرت طرفاً منها، وقد يُقيض الله تعالى لهذا الفن من يكتب فيه من المتخصصين في الدعوة الإسلامية وعلومها، فيقف على فوائد أكثر وآثار أعظم.

وختاماً:

فهذا بحثي المتواضع، قد اجتهدت فيه قدر الاستطاعة؛ حتى أحقق الغاية المنشودة من ورائه، لأنال شرف الإسهام ولو بالقدر اليسر في إثراء هذا الفن وتوظيفه في خدمة ميدان الدعوة والدعاة إلى الله تعالى، وأنال أيضاً شرف خدمة تخصص الدعوة الإسلامية وعلومها، والذي آمل أن تتنوع الدراسات الدعوية فيه بشكل خاص، وأن تصبح هذه الدراسة نواة لذلك.

وينبغي أن أؤكد في نهاية هذه الدراسة أن البحث لن يسلم من الزلات والهفوات، ومن ثم ألتمس من شيوخي الكرام، وأساتذتي الفضلاء النصح والإرشاد والتوجيه، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وحسناتهم، إنه سبحانه وتعالى حسبنا ونعم الوكيل.

الخاتمة

أحمد الله تبارك وتعالى على ما وفقني إليه من اختيار هذا الموضوع وإنجاز بحثه ودراسته، راجياً أن يخرج على النحو اللائق به شكلياً ومنهجياً وموضوعياً، فإن شارف حد الإبانة والصواب فهذا من فضل الله وتوفيقه، وإن اعتراه قصور أو نقصان فهذا هو المعهود من عجز البشر، وأسأل الله تعالى المغفرة، وهذه خاتمة تحوي أهم نتائج البحث وثماره، وتوصياته:

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وهي على النحو التالي:

(١) أظهرت الدراسة أن الدعوة الإسلامية في مسيس الحاجة إلى فنِّ الترجمة الشخصية للداعية.

(٢) أوضحت الدراسة أهم الصوارف والموانع التي قد تصرف الداعية عن الترجمة لنفسه، وكيفية التغلب عليها.

(٣) وضع البحث الطريقة الصحيحة لكتابة الدعاة تراجمهم الشخصية.

(٤) بان في ثنايا البحث مدى إسهام المسلمين في هذا الفنِّ وتقدمه وتطوره، وقد ذكرت بعض النماذج التي تؤكد ذلك.

(٥) ظهر في البحث أن بعض الدعاة قد أدرك أهمية هذا الفنِّ بالنسبة للدعوة والدعاة، ومن ثم ترجموا لأنفسهم، وكان في مقدمتهم الشيخ الإمام الأكبر عبد الحليم محمود رحمه الله "شيخ الأزهر".

(٦) أكد البحث على الضوابط الأخلاقية والفنية وأهميتها بالنسبة للدعاة في فنِّ الترجمة الشخصية.

(٧) أظهرت الدراسة أن هذا الفن يساهم بشكل كبير في عملية التقويم الدعوي.

(٨) بانت حاجة الميدان الدعوي إلى هذا الفنِّ في إحياء فقه القدوة الحسنة.

(٩) ظهرت الحاجة إلى هذا الفنِّ في التعرف على رجالات الدعوة الإسلامية، وطبيعة المرحلة الدعوية، ومعرفة مناهج الدعاة إلى الله تعالى ووسائلهم وأساليبهم، وإنتاجهم الفكري والدعوي.

(١٠) أكدت الدراسة على الفوائد الجمَّة والآثار العظيمة التي قد تترتب على توظيف هذا الفنِّ في خدمة تخصص الدعوة الإسلامية وعلومها، وفي مقدمة ذلك: إثراء علم تاريخ الدعوة.

(١١) ظهر مدى إسهام هذا الفنِّ في عملية التوريث الدعوي، الذي تفتقده الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر.

ثانياً: أهم التوصيات

(١) ضرورة اهتمام الدعاة إلى الله تعالى بهذا الفن، وحرص الداعية- الذي قد بغلت خبرته وتجربته طور النضوج والكمال - على كتابة ترجمته الشخصية؛ حتى يساهم في عملية التوريث الدعوي، وأن يراعى الضوابط الأخلاقية والفنية المتعلقة بهذا الفنِّ.

(٢) ضرورة اهتمام المؤسسات العلمية والدعوية والأكاديمية – وفي مقدمتها جامعة الأزهر وكليات أصول الدين وقسم الدعوة والثقافة الإسلامية - بهذا الفنِّ؛ وذلك بالكتابة فيه، وتسجيل الرسائل والأبحاث العلمية التي تتناول تراجم الدعاة ممن ترجموا لأنفسهم ، والقيام بدراستها بشكل موضوعي ومنهجي.

(٣) ضرورة توعية الباحثين في تخصص الدعوة الإسلامية وعلومها بهذا الفنِّ وقيمته، حتى تتوجه عنايتهم للبحث فيه والحديث عنه.

(٤) أقترح أن يتم تدريس هذا الفنِّ -كأحد علوم تاريخ الدعوة الإسلامية المهمة- على طلاب المرحلة الجامعية، ولفت أنظارهم إلى أهميته بالنسبة للدعوة والدعاة، ومدى إسهامه في خدمة علوم الدعوة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم: سبحان من أنزله

(١) أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، ناصر بركة، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر – بانته – الجزائر، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

(٢) أصول الدعوة، د / عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٩م.

(٣) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي،دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

(٤) البحث العلمي، حقيقته، ومصادره، ومادته، ومناهجه، وكتابته، وطباعته، ومناقشته، د/ عبد العزيز الربيعة ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ط الثانية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٥) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ٢٠٠٣م .

(٦) التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، ط الثالثة، بدون.

(٧) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، د يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.

(٨) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ،المحقق : مصطفى السيد محمد وآخرين، مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث – الجيزة – ط الأولى ، ١٤١٢هـ ، ٢٠٠٠م .

(٩) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير ، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم ، مكتبة دار السلام، الرياض ، ط الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م .

(١٠) التوريث الدعوي، د/ محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء – جدة – ط الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

(١١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، ك بدء الوحي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(١٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض – ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٣) الحمد لله هذه حياتي، الإمام الأكبر الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله، دار المعارف – القاهرة – ط الثالثة، بدون.

(١٤) حياتي، الأستاذ أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط الرابعة ، ١٩٦١م .

(١٥) الخطابة في موكب الدعوة، د/ إسماعيل علي محمد، دار الكلمة – المنصورة – ط الثالثة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

(١٦) ذكريات علي الطنطاوي، مراجعة: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة – السعودية – ط الخامسة ٢٠٠٦م .

(١٧) روائع رحلات الشيخ علي الطنطاوي، د حمدي الأدهم، مفكرون للنشر والتوزيع – الرياض – ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧م .
(١٨) سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: بشار عواد معروف،دار الجيل، ط الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .
(١٩) سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
(٢٠) السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي) فيليب لوجون، ترجمة عمر حلمي، المركز الثقافي العربي، بدون.
(٢١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون.
(٢٢) عبد الرحمن بن خلدون، د علي عبد الواحد وافي، ص ٢٣٨ ، سلسلة أعلام العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة .
(٢٣) العلماء الذين ترجموا لأنفسهم " السيرة الذاتية "، بكر بن عبد الله أبو زيد، وزارة الإعلام السعودية، ط الأولى ١٤٠٥م.
(٢٤) فن السيرة الذاتية وأنواعها في الأدب العربي، د/ عبد المجيد البغدادي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان – العدد الثالث والعشرون، ٢٠١٦م.
(٢٥) في مسيرة الحياة، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار القلم – دمشق – ط الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٢٦) القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى، د إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع – القاهرة – ط الثانية ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

(٢٧) الكامل في التاريخ، الإمام العلامة أبي الحسن علي بن أبي الكرم (المعروف بابن الأثير)، تحقيق د محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

(٢٨) كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

(٢٩) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، دار صادر – بيروت – ط الثالثة – ١٤١٤هـ .

(٣٠) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، الشيخ محمد الخضري بك، تحقيق الشيخ محمد العثماني، دار القلم – بيروت – ط الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٣١) المدخل إلى علم الدعوة ،محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٣٢) المستفاد من تاريخ الدعوة إلى الله قديماً وحديثاً، د فرج محمد إبراهيم الوصيف، ط الأولى ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .

(٣٣) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية – بيروت – ط الأولى ١٤٠٣هـ .

(٣٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت – بدون.

(٣٥) معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر – بيروت – ط الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

(٣٦) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بدون .

(٣٧) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

(٣٨) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية.

(٣٩) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٤٠) الموضوعية في العلوم التربوية، عبدالرحمن بن صالح عبدالله، دار المنارة – جدة – ط الأولى ، ١٤٠٧هـ .

(٤١) نحو تأصيل علمي لمصطلحات علوم الدعوة الإسلامية، د/ إسماعيل علي محمد، ١٩ ، دار الكلمة – القاهرة – ط الأولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

(٤٢) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د محمد رجب بيومي، دار القلم – دمشق – ط الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

(٤٣) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في مناقب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، القاضي بهاء الدين بن شداد، مكتبة الخانجي – القاهرة – ط الأولى ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٤٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت – ط الأولى ١٩٠٠م.